دراسات اشتراكية

- المساواة فى ظل الاشتراكية
- الرأسمالية والتقدم التكنولوجى
- النمو الاقتصادى ومشكلة الطاقة

من التراث الإسلامى

الماوردى

السنة التاسعة

١٢

ديسمبر ١٩٨٠





دراسات اشتراكية

مجلة شهرية • تصدر عن دار الهلال • السنة التاسعة "١٢" • ديسمبر ١٩٨٠



مشكلة الطاقة

بقلم: أوليج بوجومولوف

أصبح توفير موارد الطاقة من أجل النمو الاقتصادى مشكلة عالمية هامة منذ وقت طويل ، وقد اكتسبت الآن أبعادا عالمية ، وأصبحت فى الجزء الرأسمالى من العالم أزمة حادة فى الطاقة وكثيرا ما يقال فى ندوات وندوات دولية انه لكى تحل مشكلة الطاقة ، توجد حاجة الى تجميع وتنسيق جهود مختلف البلدان - الانسانية بأسرها - على أساس مبادىء ديمقراطية • ولكن أعمال الامبريالية فى العلاقات الاقتصادية الدولية تقيم عقبة كؤودا فى الطريق • والمصالح الانانية للشركات فوق القومية الكبرى تستبعد أى تعاون دولى واسع معقول فى انتاج واستخدام الموارد،وتواصل أزمةالطاقة تهديد مستقبلالانسانية

وهذا مصدر ازعاج للعالم • وقد استغلت وكالة المخابرات المركزية هذا ، فنشرت فى سنة ١٩٧٧ ، ثم فى سنة ١٩٧٩ ، مع تعديلات طفيفه ، نبوءة عن تطور وضع الطاقة فى بلدنا ، فتنبأت بأن الاتحاد السوفييتى لن يصبح فى الثمانينات مصدرا للبترول ، وسيكون مستوردا له • وأكدت وكالة المخابرات المركزية أنه بحلول سنة ١٩٨٢ ، ستنخفض صادرات البترول السوفييتى الى النصف ، من ١٥٠ مليون طن الى ٨٥ مليون طن • وكانت هذه النبوءة دعاية وعملا نفسيا آخر من أعمال التخريب ضد الاتحاد السوفييتى • وبذل جهد لحمل العالم الغربى على الاعتقاد بأنه من المتوقع ظهور منافس قوى جديد فى سوق البترول • ويشير الامريكيون الى ان خطر حدوث أزمة طاقة يزعمون أنها تلوح للاتحاد السوفييتى ، تدفعه الى القيام باعمال عدوانية فى الشرق الاوسط ، وهذا « التحذير » له كذلك جانب آخر : فهم يزعمون أن خفض الصادرات السوفييتية من الطاقة الى أوروبا الغربية كفيل بأن يؤدى الى عدم رضاها عن التعاون الاقتصادى مع الشرق ، وفى الوقت نفسه ، تسعى وكالة المخابرات المركزية الى « تحذير » الشركاء فى التكامل الاشتراكى : فتقول لهم ضعوا فى الاعتبار أنكم لن تحصلوا على الكثير من الاتحاد السوفييتى •

ومن الطبيعى أن البعض ينظرون الى الامور نظرة أكثر اتزانا • فالاخصائى البريطانى فى شئون البترول د • بارك لا يوافق على الاستنتاجات الكئيبة التى توصلت اليها وكالة المخابرات المركزية • فيقول انه رغم أن تقارير وكالة المخابرات المركزية تركز بشكل صحيح على المشكلات التكنيكية الضخمة فى صناعة البترول فى الاتحاد السوفييتى ، فهو لا يوافق على الزعم القائل ان أيا من هذه المشكلات لن يحل • ويضيف أنه حتى مع عدم وجود بيانات دقيقة ، يوافق المحللون الغربيون على أن مستوى الاحتياطيات الممكن استغلالها والمعروف وجودها فى الوقت الراهن لن يشكل ارهاقا لمستويات الانتاج المتوقعة فى المدى المتوسط • وهذا الرأى يؤيده خبراء آخرون فى أوروبا الغربية •

ولكن النقاش كشف مرة أخرى عن أن احتمال حل مشكلة الطاقة فى البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة له جانب سياسى دولى هام • وهو جانب يحلله أصدقاؤنا وأعداؤنا على السواء • والكثير من البلدان التى تستخرج البترول حساسه لذلك • فهذه القضايا موضوع صراع أيديولوجى ، وطرف منه هو التنبؤ الذى نشرته وكالة المخابرات المركزية ، وتوجهه الى الذين لديهم معلومات قليلة وكفاءتهم ضئيلة • ولابد أن يكون المرء شديد السذاجة ليقع فى فخ من هذا النوع • وهناك حقائق كثيرة تبين أن استخراج البترول والغاز فى الاتحاد السوفييتى يزداد عاما بعد عام • ورغم أن الزيادات المطلقة فى الاستخراج السنوى فى الفترة الاخيرة ليست شديد الارتفاع ، فهذا ليس دليلا على أن الاستخراج ينخفض

كما تتنبأ وكالة المخابرات فى الولايات المتحدة ، واذا وضعنا فى الاعتبار أن المناطق التى يوجدفيها بترول فى سيبيريا لم تستكشف تماما مثل الحقول القديمة ، وأن هناك اتجاها الى استخراج البترول من شمال سيبيريا ، بما فيها قاع المحيط ، فان المرء يستطيع أن يتوقع المزيد من نمو انتاج البترول ٠

والمزاعم المختلفة عن أزمة الوقود والطاقة يدحضها التطور الاقتصادى لبلدان أسرتنا ، والممارسة الفعلية للتكامل الاقتصادى الاشتراكى ٠

والبلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة لها قاعدة قوية حديثة للوقود والطاقة ، يتحسن هيكلها باضطراد عن طريق زيادة نصيب الانواع المتقدمة من مواد الطاقة ٠ ونصيب هذه البلدان من الانتاج العالمى لموارد الطاقة (١) قد ازداد من ٢١ فى المائة فى ١٩٦٠ الى ٧٥ فى المائة فى ١٩٧٨ ، فى حين أن نصيب البلدان الاعضاء فى السوق الاوروبية المشتركة انخفض من ١١ فى المائة الى ٦ فى المائة ٠ وانتاج كل نوع من أنواع مصادر الطاقة فى اطار مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة يزداد زيادة سريعة ٠

وفى ١٩٧٨ ، كان انتاج البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة من جميع أنواع مصادر الطاقة أكبر مما كان عليه فى سنة ١٩٦٠ بنسبة ١٤٠ فى المائة (فى حين أن مجموع دخلها القومى زاد بنسبة ٢٠٠ فى المائة ، وانتاجها الصناعى بنسبة ٢٨٠ فى المائة) ٠ وكان يوجد بصفة خاصة توسع سريع فى صناعة الوقود والطاقة فى الاتحاد السوفييتى ، وهى الصناعة التى تنتج ٨٠ فى المائة من جميع مصادر الطاقة فى البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة ، وهذا يقدم مساهمة رئيسية فى سد احتياجاتها من الواردات ٠

وتطور صناعة الوقود والطاقة فى البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة يخلق القاعدة الضرورية للنمو الاقتصادى السريع ، ويجرى التغلب على آثار عدم التساوى فى توزيع احتياطيات الوقود الطبيعى بين هذه البلدان عن طريق التقسيم الاشتراكى الدولى للعمل ٠ وفى سنة ١٩٧٧ ، أمكن سد جميع احتياجات أسرة الدول لاشتراكية تقريبا من واردات الغاز الطبيعى عن طريق تبادل التوريد ، ففى الفحم الحجرى — ٩٦ فى المائة ،والبترول ومشتقاته — ٧٥ فى المائة ٠ والدرجة المرتفعة للاكتفاء الذاتى فى الوقود ميزة هامة للبلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة على بلدانالسوق الاوروبية المشتركة ، التى عليها أن تستورد أكثر من نصف مصادر طاقتها من بلدان أخرى ٠ ومن ١٩٦٠ حتى

---

(١) المقصود هنا وفى سائر المقالة الوقود التقليدى ٠

جدول رقم (١)
استخراج الانواع الاســاسية
من الوقود وتوليد الكهرباء فى البلدان
الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة

	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٧٨	١٩٧٨ بالمقارنة بسنة ١٩٥٠
الفحم الحجرى : والانثراسيت (بملايين الاطنان)	٢٨٢ر٩	٤٩٦ر٣	٦١٣ر١	٧٣٤ر٠	٢ر٦ ضعفا
الفحم البنى : والليجنيت (بملايين الاطنان)	٢٦٤ر٢	٤٦٩ر٠	٥٨٩ر٠	٦٢٥ر٠	٢ر٤ ضـعفا
البترول (بملايين الاطنان)	٤٣ر٢	١٦٠ر٩	٣٦٩ر٢	٥٨٨ر٠	١٣ر٥ ضعفا
الغاز الطبيعى : (ببلايين الامتار المكعبة)	٩ر٢	٥٤ر٥	٢١٩ر٨	٤٠٦ر٠	٤٤ر ضعفا
الطاقة الكهربائية : (بالبليون كيلووات/ساعة)	١٣٥ر٣	٤٠٦ر٥	٩٨٧ر٤	١٦١٤ر٠	١١ر٩ ضعفا

المصدر : « اقتصاد البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة » ـ المجموعة الاحصائية ، موسكو ١٩٧٤ ، ص ٧٩ ـ ٨٠ • الكتاب السنوى الاحصـائى للبلدان الاعضاء فى مجلس المســــاعدة الاقتصادية المتبادلة ـ موسكو ١٩٧٩ ـ ص ٨٦ ـ ٨٩ (بالروسية ـ •

١٩٧٨ لم يرتفع انتاج مصادر الطاقة فى السوق الاوروبية المشتركة الا بنسبة ٥ فى المائة ، وكان النمو فى هذا الصدد كافيا فى بريطانية العظمى وهولندا فحسب ، بما يستخرجانه من بترول وغاز من بحر الشمال ٠

والنمو الديناميكى لانتاج الوقود والطاقة وتعميق التعاون فى هذا المجال لم يخلق الشروط الاساسية اللازمة فى السبعينات للتقدم الاجتماعى الاقتصادى السريع للبلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة فحسب ، بل وسع كذلك قدراتها على التصدير الى السوق الرأسمالية العالمية للغاز والبترول ومشتقاته من الاتحاد السوفييتى ، والفحم الحجرى من بولندا ومشتقات البترول من بولندا ٠ وهذا التصدير يقوم بدور كبير فى ميزان الطاقة فى أوروبا الغربية ٠ وكونه وسيلة مستقرة موثوقا فيها لامداد عدة بلدان رأسمالية متطورة ، فهو ذو قيمة لها كذلك لانه يمكنها من تنويع مصادر وقودها ٠

وأسرة الدول الاشتراكية لا تهددها تقلبات مثل هذه التى تصيب العالم الرأسمالى نتيجة أزمة الطاقة ، والتى تستمر فى مواجهتها مثل شبح أسود يحوم فوقها ٠ ولكن استمرار سد احتياجات الطاقة يتطلب جهودا قوية من جانبنا كذلك ، لان جميع البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة ، باستثناء الاتحاد السوفييتى ، يتضاءل تدريجيا نصيبها من الطاقة التى تنتجها محليا بالنسبة لاستهلاكها الكلى ، ومن الصعب ابطال تأثير عوامل الضغط الطبيعية والاقتصادية ٠

وسبعون فى المائة من الاستهلاك الكلى للطاقة فى البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة (١) (حوالى ٥٨٠ مليون طن من الوقود التقليدى) غطيت فى سنة ١٩٧٥ عن طريق الانتاج فى اطار أسرة الدول الاشتراكية ٠ وبحلول نهاية سنة ١٩٨٠ ، من المتوقع أن ترتفع هذه الاحتياجات الى ٧٨٠ مليون طن من الوقود التقليدى و ٦٥ فى المائة فقط منها تسدها الموارد الداخلية ٠ وفى سنة ١٩٩٠ ، قد يصل هذان الرقمان الى بليون طن و ٥٠ فى المائة ٠ والجدول رقم (٢) يبين أن الزيادة فى احتياجات البلدان الشقيقة من الوقود والطاقة كانت تسدها أساسا فى أكثر من ربع قرن الواردات السوفييتية :

---

(١) بخلاف الاتحاد السوفييتى ٠

جدول رقم (٢)
واردات الوقود والطاقة الكهـربائية
من الاتحاد السوفييتى الى البلدان الاعضاء فى
مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة

	١٩٥٦ – ١٩٦٠	١٩٦١ – ١٩٦٥	١٩٦٦ – ١٩٧٠	١٩٧١ – ١٩٧٥	١٩٧٦ – ١٩٨٠
البتــــرول : (بملايين الاطنان)	٢٢	٥٩ر	١٣٨ر	٢٥٠	٣٧٠
الغاز الطبيعى : (ببلايين الامتار المكعبة)	١	١ر٦	٨ر	٣٠	٨٨
الفحم الحجرى : (بملايين الاطنان)	٢٩	٦٣ر	٦٢ر	٧٤	
الطاقة الكهربائية) (ببلايين الكيلووات/ساعة)	—	٣ر٥	١٤ر	٤٠	٦٤

وهذا السيل الضخم من واردات الطاقة من الاتحاد السوفييتى الى اقتصاد البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة عامـل رئيسى من عوامل نموها الصناعى • ومن ١٩٧٦ حتى ١٩٨٠ تضيف هــذه الورادات حوالى ٨٠٠ مليون طن من الوقود التقليدى ، أى أكثر من مقــدار الواردات فى فترة السنوات الخمس السابقة بنسبة ٤٣ فى المائة • ومن ١٩٨١ حتى ١٩٨٥ ، ستزيد الصادرات السوفييتية من هذه الموارد بنسبة ٢٠ فى المائة أخرى • وستظل واردات البترول عند مســتواها المرتفع فى سنة ١٩٨٠ ، وستصل الى ٤٠٠ مليون طن فى فترة السنوات الخمس •

وحركة مصادر الطاقة عبر الحدود على هذا النطاق الواسع كانت ممكنة عن طريق الجهود المشتركة المنسقة فى انشاء تسهيلات للتصدير وتوسيع طاقة شرايين النقـــل • وقد مدت أنابيب البترول والغــاز من الاتحـــاد السوفييتى الى البلدان الاوروبية الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصـــادية المتبـــادلة • وبذلك يكمن البـــدء في ١٩٧٩ فى خط أنابيب الغـــاز « سويوز » ، الذى يقام بجهود مشتركة ، هذه البلدان من الحصـــول على مقدار اضافي من الغاز يصل الى ١٥ر٥ بليون متر مكعب من الغاز الطبيعى السوفييتى فى السنة من منطقة أورنبورج •

وواردات الطاقة الكهربائية السوفييتية ظلت تزداد زيادة ملحـــوظة مع اقامة شبكة نقل الكهرباء التى تربط غرب أوكرانيا بالمجر •

والتكامل الاقتصادى الاشتراكى أداة فعالة لحل مشكلات الطاقة واسعة النطاق • وهى تسد بشكل يوثق فيه احتياجات البلدان الاعضاء على أساس خطة طويلة الامد وشروط اقتصادية تفضيليه • وأسعار مصادر الطاقة فى تجارة كل من البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة مع الاخرى تقوم على أساس عالمى ، ولكنها خالية من عناصر الازمة والمضاربة وتستمر بلا تغيير طوال السنة • ويتم الاتفاق عليها على أساس متوسط الاسعار العالمية فى فترة السنوات الخمس السابقة على سنة التوريد • وهذا يمكن السوق الاشتراكية من تجنب القفزات المفاجئة فى الاسعار وتسهيل ملاءمة الاقتصاديات للاتجاهات المستقرة فى معدلات الاسعار المتغيرة لتبادل العملات العالمية • وبذلك اشترت البلدان الاشتراكية الاوروبية فى ١٩٧٩ بترولا من الاتحاد السوفييتى بأسعار تقل بحوالى ٤٠ فى المائة عن الاسعار العالمية • ويقدر أنه من ١٩٧٦ حتى ١٩٨٠ ستحقق البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة ميزة اجمالية من شراء البترول ومشتقاته من الاتحاد السوفييتى فحسب تزيد على خمسة بلايين روبل قابل للتحويل•

ورغم أن الاتحاد السوفييتى لديه موارد طاقة ضخمة ، فهناك حدود موضوعية لاستمرار زيادة صادراتها • فالجزء الاوروبى من الاتحاد السوفييتى فيه نقص فى الوقود يجب سده من وردات سيبيريا • والاقاليم الشرقية من البلاد أصبح المصدر الرئيسى للبترول والغاز المصدرين • ويترتب على هذا نفقات اضافية ضخمة فى النقل وتطوير مناطق جديدة غير مأهولة بالسكان • ومع النطاق الذى يتم عليه استخراج وتصدير البترول والغاز وبعض مصادر الطاقة الاخرى ، لم يعد من الممكن تجاهل أن هذه المصادر محدودة ولا تتجدد •

ومن الطبيعى أن أسلوب اقامة حد للطاقات التصديرية فى صناعات الوقود والمواد الخام فى الاتحاد السوفييتى يميل الى ادخال بعض العناصر الجديدة الهامة الى حل مشكلة الطاقة •

ونمو احتياجات البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة من الوقود ، وكذلك النطاق الواسع لتوريد مصادر الطاقة من الاتحاد السوفييتى ، قد واجها أسرة الدول الاشتراكية بمشكلة وضع استراتيجية لانشاء مجمع للوقود والطاقة ، على أن يوضع فى الاعتبار ازدياد نفقات مصادر الطاقة ، ومواردها المحدودة ، وتأثير أزمة الطاقة العالمية • والبلدان الشقيقة الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة قد وجهت اهتماما أساسيا الى هذه المشكلة ، فاعتبرتها مفتاح المزيد من التقدم الاقتصادى وتقوية القدرة الموحدة لاسرة الدول الاشتراكية وتلاحمها • وقد أعلنت اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، بعد أن درست نتائج اجتماعات ومحادثات ليونيد بريجنيف فى القرم مع قادة الاحزاب

والبلدان الشقيقة في صيف ١٩٧٩ : « تضع البلدان الاشتراكية في الاعتبار أن بعض المشكلات قد تنشأ أمامها من ازدياد تعقد النظرة الاقتصادية العالمية ويتعلق هذا ، بصفة خاصة ، بالمحافظة على المستوى المرتفع الذى تحقق في استهلاك البترول ومشتقاته ، وضمان زيادة مضطردة في امكانيات الطاقة • »

وعلى البلدان الاعضاء في مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة أن تتلاءم مع الوضع الجديد الاقل ملاءمة في مجال الوقود والطاقة • وينطوى هذا على تحـــول هيكلى وتنظيمى وتكنيكى ، وحتى نفسى ، كبير سيستغرق وقتا ، ويتطلب استثمارات اضافية ضخمة •

ولسد مطالب البلدان الاعضاء في الاسرة الاشتراكية من الوقود ، توجد حاجة الى التحول في الثمانينات الى مشروعات جديدة في التقســـيم الدولى للعمل والتفاعل بين الاقتصاديات • ومشكلة الطاقة يجب الآن أن تعـالج ، لا بمعزل عن الصناعات الاخرى ، وفي المحل الاول الصـناعات الهندسية ، بل في وحدة معها • ومن المهم في هذا الشأن أن يوضع في الاعتبـار حجم الاستثمارات وعائدها ، وامكانية التعاون مع البلدان النامية ، وغير ذلك • ومع التوسع في القواعد القومية للوقود والطاقة ، توجد حاجة الى اتخـاذ اجراءات منسقة لاعادة بناء هيكل الاقتصاد وترشيد استهلاك الطاقة • ومن المهم استخدام القدرات في التنظيم المتوازن للتقسيم الدولى للعمل ، مثـل خفض نصيب خطوط الطاقة الكثيفة في الانتاج في البلدان التى لا تكـون ظروف التطور فيها غير ملائمة •

وأسرة دولنا الاشتراكية لديها امكانيات واضحة موثوق فيهـــا لســد الاحتياجات الاساسيه من الطاقة في السنوات العشر القادمة ،ومزايا الاقتصاد المخطط والتنظيم المخطط للتعاون الدولى تكمن البلدان الاعضـاء في مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة من حل مشكلات الطاقة فيها ، وايجاد ضمانات بأنها ستواصل عملها هذا في المستقبل • وهذا الاستنتاج يؤكده التطـور المبكر بأكمله وكذلك نتائج تنسيق الخطط الاقتصادية بين الاتحاد السوفييتى والبلدان الاخرى الاعضاء في مجلس المساعدة الاقصادية المتبـادلة في فترة السنوات الخمس القادمة (١٩٨١ ــ ١٩٨٥) • والبرنامج طويل الامـد ذو الاهداف الموجهة للتعاون في سبيل ضمان الاحتياجات الرئيسية من الناحية الاقتصادية من الانواع الاساسية للطاقة والوقود والمواد الخـام في الفترة التى تنقضى في ١٩٩٠ ، وهو البرنامج الذى أقرته الدورة الثانية والثلاثون لمجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة في ١٩٧٨ ، هو استراتيجية منســقة لحل مشكلة الوقود والطاقة • وهو لا يركز على استمرار الزيادة الكبيرة في استخراج مصادر الوقود والطاقة وتوريدها بشكل متبادل، بل على استخدامها بشكل أكثر كثافة ، أى أكثر ترشيدا واقتصادا • وهذه الاستراتيجية تهدف الى أن تشرك الى أقصى حد موارد كل بلد في التجارة الاقتصادية ، وقبل كل

شيء من نوع من أنواع الوقود الصلب ، لتوليد الطاقة الكهربائيه وللاستخدام التكنولوجي للطاقه • والبلدان الاوروبيه الاعضـــاء في مجلس المســـاعدة الاقتصاديه المتبادله لديها موارد ضخمه من الفحم الحجري والبني والليجنيت مجموعها يقرب من ١٠٥ بليون طن ، مع احتياطيات تقدر بثمانين بليون طن أخرى ، وهذه حقيقة تجعل من الممكن التوسع توسعا كبيرا في اســتخراج الوقود الصلب ومعالجته تكنولوجيا •

وستبدأ زيادة الاستخراج مع استخدام أساليب جديدة محسنة ووسائل تكنيكية في انشاء وتشغيل مناجم قوية بوسائل آليه معقدة • وقد بدأ التعاون في اتقان الاساليب المتقدمة وادخالها لتحويل الفحم الى وقود سائل أو غازي أو أنواع أخرى من الوقود الذي يمكن نقله •

والبرنامج طويل الامد ذو الاهداف الموجهة يوجه اهتماما خاصا للتطــور السريع للطاقة الذرية • والبرنامج الخاص بأقصى تطور للهندسة الذرية في البلدان الاعضاء في مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة في الفترة التي تمتد حتى ١٩٩٠ ، وهو البرنامج الذي أقرته الدورة الحادية والثـــلاثون لمجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة ، يضع القواعد الاساسية للتخصص والتعاون في هذا المجال •

وفي الدورة الثالثة والثلاثين لمجلس المساعدة الاقتصادية المتبـــادلة في ١٩٧٩ ، وقعت اتفاقية بهذا الشأن ذات أطراف متعددة ، ستشترك بمقتضاها أكثر من خمسين مؤسسة صناعية رئيسية في ثمانية بلدان (بلغاريا والمجر وجمهورية ألمانيا الديمقراطية وبولندا ورومانيـــا والاتحاد الســـوفييتي وتشيكوسلوفاكيا ويوغوسلافيا) في صناعة وتوريد معدات معقدة لمحطات الطاقة الذرية • وستبدأ في البلدان الاوربية الاعضاء في مجلس المســـاعدة الاقتصادية المتبادلة وفي كوبا ، بمساعدة الاتحاد السوفييتي محطات للطاقة الذرية طاقتها الاجمالية ٣٧ مليون كيلووات • وهذا سيساعد على توفير حوالي ٧٠ مليون طن من الوقود التقليدي في السنة ، وستبني محطتان للطـــاقة الذرية قوة كل منهما ٤٠٠٠ ميجا وات في الاراضي السوفييتية ، بالتعاون مع البلدان المهتمة بهذا ، وسيصدر نصــــف طاقتها الكهربائية الى البلـــدان الشقيقة •

ويتسع بناء محطات حرارية جديدة للطاقة الكهربائية تعمـــل بالوقــود الصلب ، وستطور تطويرا أكبر موارد الطـــاقة المائية ، وستنشأ على نهــر الدانوب محطات كبيرة للطاقة المائية ، باشتراك البلدان المهتمة بهــذا ، ومن بينها جابتسيكوفو ـ ناجيماروس (في القطاع المجري التشيكوسلوفاكي) والبوابة الحديدية ، درداب ، (في القطاع الروماني اليوغوســـلافي) ، ونيكوبول ـ تورنو ـ ماجوريلي (في القطاع البلغاري الروماني) ، وكذلك عدد من محطات الطاقة المائية على نهر الدانوب وأنهار أخرى • وســـتعلق

أهمية كبيرة على الانشاء المشترك لمحطات توليد الكهرباء المائية : لاكاتينك في بلغاريا ، وبريديكا لوزيك في المجر ، ونيفيستكا في بولندا ، ودرداب ٢ في يوغوسلافيا ، وهو مشروع سيساعد على ايجاد ظروف أفضل لتشغيل شبكه الكهرباء ٠

وفي ١٩٧٧ ، وقعت ثمانية بلدان أعضاء في مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة « اتفاقية عامة » عن التعاون في التطوير طويل الامد لشبكات كهرباء مشتركة للفترة التي تمتد حتي ١٩٩٠٠ولضمان امدادات الطاقة الكهربائيه وتوسيع المساعدة في حالة انقطاعها ، وزيادة النقل المشترك للطاقة الكهربائية وكذلك لتعزيز الثقة في تشغيل شبكات الكهرباء بشكل متواز ، فسوف تشيد شبكة لها قدرة كبيرة مقدراها ٧٥٠ كيلوفولت ٠ وبعد انشاء خط فينيتسا ـ ألبرتيرسا باشتراك بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وجمهورية ألمانيا الديمقراطية والمجر وبولندا والاتحاد السوفييتي ، سوف يشيد خط بين محطة خميلينتسكايا للطاقة الذرية وبين ريسرو ، وخط بين محطة كونستنتينوفسكايا للطاقة الذرية وبين ماتسين دوبروديا ٠ والمشروع العام يتيح اقامة فرع في الشمال ، يشمل خطا بين محطة ايجنالنسك للطاقة الذرية في بولندا وبين نيدرجورن ، وخطا لنقل الكهرباء بمحاذاة خط الطول الجغرافي ، وذلك لتكوين اطار يوثق فيه للشبكة الكهربائية المندمجة في المستقبل ٠

واحتياجات البلدان الاعضاء في الاسرة الاشتراكية من البترول ومشتقاته ستسدها الواردات من الاتحاد السوفييتي (والشروط والكميات يتم الاتفاق عليها على أساس ثنائي) وعن طريق زيادة ما تستخرجه كل من هذه البلدان من البترول والغاز ، باستخراج كل ما يمكن من الحقول الموجودة وتطوير حقول جديدة ، ومن بينها الحقول التي تقع على أعماق كبيرة ، وكذلك الحقول الواقعة تحت سطح بحر البلطيق والبحر الاسود وغيرهما من البحار ٠ وتعلق أهمية خاصة على التعاون بين أطراف متعددة في تكرير البترول بعمق أكبر وقبل كل شيء عن طريق ادخال تكنولوجيا أفضل ٠ وفي يونيو ١٩٨٠ ، وقعت اتفاقية عامة بين الحكومات لاقامة تخصص وتعاون في صناعة المنشئات والمعدات اللازمة ٠ وسيساعد هذا على استخدام البترول استخداما أكثر كفاءة ، وتوسيع انتاج المشتقات القيمة ، وسد الاحتياجات المتزايدة للنقل من وقود المحركات ، وقامة صناعة بتروكيماوية في المواد الخام ٠

وصناعة الوقود والطاقة لها قدر كبير من القصور الذاتي ، ويجب أن يوضع هذا في الاعتبار عند تقييم التغيرات الهيلكية الممكنة في انتاج واستهلاك الطاقة في الثمانينات ٠ ويمكن أن يتوقع المرء أن تعتمد هذه التغيرات ، قبل كل شيء ، على الاساليب المستخدمة في توليد ونقل واستخدام الكهرباء ٠ **وتبين الاحصائيات أن البلدان الاعضاء في مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة لديها احتياطيات كبيرة جدا لاقتصادياتها : فبلدان الاسرة الاشتراكية**

تنفق من مصادر الوقود والطاقة بالنسبة للوحدة الواحدة من الدخل القومي اكثر مما تنفقه بلدان السوق الاوروبيه المشتركه بنسبه ٤٠ في المائه • وبعبارة اخرى ، اذا امكن حصص معدل ما يستثمر من هذه الموارد الى المستوى الموجود في السوق الاوروبيه المشتركة ، لامكن زيادة الدخل القومي للبلدان الاعضاء في مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة بحوالى ٥٠ في المائة مع الاستهلاك الحالى للوقود •

والتقدم العلمى والتكنيكى يتيح امكانيات واسعة لاستخدام موارد الطاقة استخداما أكثر كفاءة • وفى البلدان الرأسمالية المتطورة ، يصل استخدام موارد الطاقة الى ٣٠ – ٣٥ فى المائة من جملة استهلاكها ، ويتبدد الباقى • ويؤمن الاخصائيون في السوق الاوروبية المشتركة أنه من الواقعى تماما محاوله زيادة هذا الرقم بمقدار الثلث تقريبا فى السنوات القادمة التى تتراوح بين خمسة عشرة وعشرين سنة • والبلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة لديها قدرات متساويه ، ان لم تكن أكبر ، على زيادة النسبة المئوية للطاقة المستهلكة بشكل مفيد •

والامر الهام الذى يجب تأكيده هو أن هناك حاجة الى الاقتصاد فى الوقود بمقدار يتراوح بين النصف والثلث من الاستثمارات مع زيادة مماثلة فى الاستخراج ، لانه لا توجد حاجة الى ادارة مناجم ومحاجر ومعامل تكرير بترول ومحطات توليد كهرباء وخطوط نقل كهرباء جديدة • وهذا تضعه كذلك فى الاعتبار تماما استراتيجية الطاقة طويلة الامد للبلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة • وتهدف هذه الاستراتيجية الى وضع وادخال أساليب تكنيكية جديدة ، وتحسين التكنولوجيا الموجودة لضمان خفض احتياجات الوقود والطاقة ، واستخدام عمليات تكنولوجية كثيفة تستهلك طاقة أقل ، وتحسين العزل الحرارى ، وتعزيز الكفاءة النسبية للمنشئات التى تستخدم الطاقة • وستتخذ كذلك الاجراءات لاستخراج الوقود بشكل أكمل من تحت الارض واستخدام مصادر الطاقة التى تعاد دورتها استخداما أفضل •

وقد أشارت الدورة الرابعة والثلاثون لمجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة فى ١٩٨٠ مرة أخرى الى نمو تأثير امدادات الوقود والطاقة على التطور الاقتصادى لبلدان الاسرة الاشتراكية • وقد تقرر تقديم التعاون فى البحث البيولوجى فى المناطق التى تبشر بوجود مصادر طاقة فيها فى هذه البلدان، وتحقيق زيادة فى الترسبات التى ثبت وجودها ، وتقديم الوقود بصورة متبادلة ، واستخدام موارد الطاقة بشكل أكثر رشدا ، وتوفير معدات اقتصادية لصناعات استخراج الوقود واستهلاكه • وسيوضع تنبؤ علمى وتكنيكى لحل مشكلات الوقود والطاقة حتى سنة ٢٠٠٠ •

وانجاز هذه المهام بنجاح يتوقف الى حد كبير على التعاون الوثيق فى مد

صناعات الوقود والطاقة بالآلات والمعدات والمواد ، وينطبق هذا قبل كل شئ على صناعة معدات التعدين والتنقيب وحقول البترول والحفر والنقل والكهرباء وتكرير البترول والمعدات الكيماويه • وفى اطار البرنامج الهندسى طويل الامد ذى الاهداف الموجهة ، ويوجد نص على الحل المشترك للمشكلات التكنيكية التى تطرأ ، وتطوير التخصص والتعاون فى الانتاج ، واعادة تشكيل التسهيلات الموجودة وتوسيعها واقامة تسهيلات جديدة ، ومن بينها تسهيلات تقيمها البلدان التى يعنيها الامر بصورة مشتركة ، والتعاون العلمى والتكنيكى الذى يؤثر على كل عنصر من عناصر صناعة الوقود والطاقه ستقدم له قوة دفع جديدة •

والجانب الاكثر أهمية فى الاستراتيجية المنسقة لبلدان مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة لحل مشكلة الوقود والطاقة هو اختيار مواقع أفضل لاقامة مصانع الطاقة الكثيفة • وفى اطار البرنامج المشترك ستقام تسهيلات اضافية فى المناطق الشرقية فى الاتحاد السوفيينى لانتاج منتجات كيماوية ذات طاقة كثيفة ، مثل الميثانول ، والبوليفينيلكلوريد ، والبوليتيلين • وفى مقابل هذه الامدادات ، ستقوم البلدان المعنية الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة بتوسيع انتاج انواع المنتجات الكيماوية ذات الطاقة الاقل كثافة لتصديرها الى الاتحاد السوفييتى عن طريق اتفاقيات متبادلة •

ومن المعروف بصفة عامة أن مشكلة البيئة تزداد حدة مع المزيد من تطور صناعة الوقود والطاقة ، وفى المحل الاول الطاقة الذرية • وحيثما كانت كثافة السكان عالية ، فيجب توزيع محطات الطاقة الذرية • ووجود فاصل بين المؤسسات التى تقوم بتركيز الوقود النووى ، وصناعة العناصر التى تولد الحرارة ، واعادة توليد الوقود الذى استهلك ، وتصنيع المخلفات المشعة والتخلص منها ، أمور تقطع الصلة بين عناصر دورة الانتاج • ونقل كميات كبيرة من الوقود النووى غير المشع الى محطات الطاقة الذرية والوقود ذى الدرجة العالية من الاشعاع المتخلف من المحطات الذرية الى الاماكن التى يدفن فيها ، يمكن أن يكون مصدر خطر اضافى لتلوث البيئة بالاشعاع ، ويميل هذا الخطر الى الازدياد مع تطور صناعة الطاقة النووية والتوسع فى نقل الوقود • وهذا هو السبب فى أن البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة قد بدأت بالفعل التعاون فى نقل الوقود المستهلك واعادة دورته ، فوضعت تسهيلات نقل خاصة ، ووضعت وثائق قانونية وعادية دولية لتنظيم مختلف الامور الناشئة من هذا النقل •

وتوليد الطاقة الكهربائية عن طريق المحطات الذرية ليست له فائدة اقتصادية الا مع مفاعلات لها طاقة كبيرة فى وحداتها • ولكن توسيع الطاقة الموجودة للمحطات الذرية تؤدى الى زيادة مساحة الارض المعزولة واستخدام

موارد الماء بشكل مكثف • ولحل هذه المشكلة ، تجرى الدراسات فى الاتحاد السوفييتى لمعرفه أين يجدر ربط محطات الطاقة الذرية لتصبح مجمعات كبيرة للطاقه النوويه تبلغ عدة ملايين من الكيلووات ، وتقع بعيدا عن المناطق ذات الكثافه السكانية الكبيرة • وسترتبط هذه المجمعات بمراكز استهلاك الطاقة عن طريق خطوط لنقل الكهرباء • ويبدو من الافضل فى هذا الشأن ألا تركز محطات الطاقة الذريه فحسب ، بل كذلك مؤسسات دورة الوقود الخارجية الكاملة ، فى موقع واحد •

وتوجد مشكلات جديدة أخرى نشأت من تحقيق استراتيجية الطاقة الجماعية للبلدان الشقيقة • ومن العناصر الرئيسية لهذه الاستراتيجية،على سبيل المثال ، تعميق تقسيم العمل مع البلدان النامية ، والتعاون فى الاعمال مع البلدان الرأسمالية ، وقد اقترح الاتحاد السوفييتى والبلدان الاخرى الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة عقد مؤتمر أوروبى للطاقة لمناقشة الامكانيات العديدة للعلاج المشترك للمشكلات الموجودة فى زيادة الانتاج والتصدير واستخدام موارد الطاقة استخداما أكثر رشدا • ونحن نريد أشكالا وأسسا جديدة للتعاون مع البلدان النامية لاتاحة شراء المزيد من البترول والغاز والفحم على أساس اتفاقيات طويلة الامد • وقد تبين أن الاساليب التقليدية فى التجارة غير كافية • ولتطوير الروابط فى الاعمال على أساس أفضل ، تسعى البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة الى تطوير صناعات التصدير فيها ، الموجهة الى سد الاحتياجات الخاصة للبلدان النامية ، وزيادة توريد الآلات التى تحتاج اليها والبلدان الاشتراكية والنامية تستطيع بشكل واضح أن تنشىء شركات مختلطة ـ لتعزيز التطور الرشيد للموارد الطبيعية ، والمساعدة فى انشاء تسهيلات للتصدير الى البلدان الاعضاء فى مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة •

وخبرة حل مشكلة الوقود والمواد الخام فى اطار التكامل الاقتصادى الاشتراكى لا تقدم ، بطبيعة الحال ، اجابة على المشكلات المعقدة التى تنشأ فى الممارسة • ويوجد الكثير الذى تنبغى دراسته بعمق وتحديدة •

وستظهر بغير شك أساليب جديدة لحل هذه المشكلات ، والتقدم العلمى والتكنيكى سيساهم فى هذا مساهمة كبيرة • ولكن ما فعلته أسرة الدول الاشتراكية بالفعل يبين أنه من الممكن ، من ناحية المبدأ ، حل مشكلة من أكثر المشكلات العالمية حدة فى عصرنا ، اذا نسقت البلدان الشقيقة جهودها بشكل تطوعى ، مع احترام مصالح كل منها ، وتقديم العون الرفاقى المتبادل •



بقلم: فيليب رود ريجير

العمليات التأديبية ضد السـكان غير المسلحين ، والهجمات الوحشيه للعصابات شبه الفاشية ، والمعاملة التى لا تعـرف رحمة لنشاط المنظمات التقدمية ، وآلاف القتلى والمعتقلين أو الذين اعتبروا ((مفقودين)) تلقى الضوء على واقع بوليفيا اليوم . لقد اغتصب السلطة من جديد الدوائر اليمينيـة المتطرفة للبرجوازية الموالية للامبريالية مع العسكريين الرجعيين الذين قاموا بانقلاب فى ١٧ يوليو وأقاموا ذكتاتورية ارهابية تحت رئاسة الجنرال جارسيا ميزا .

وعند الحديث عن التطورات فى بوليفيا تتحدث الصـحافة البرجوازية بسخرية عن ((انقلابات القصور)) ((والانقـلاب الأخير هو الانقلاب رقم ١٨٩ فى تاريخ البلاد الذى يصل الى ١٥٥ عاما)) . ومع ذلك ، فمن الواضح أن انقلاب ١٧ يوليو لم يكن تحـركه مطـامح الـكولونيلات المتعطشين الى السلطة أو اعادة توزيع الامتيازات والدخول بين الفئة الحاكمة . لقد دل على بداية هجوم الرجعية الجبهوى ضد الشعب وضـد الديموقراطية .

وعدم الاستقرار سمة لتاريخ بوليفيا السياسى . وعند الحديث عن الماضى ينبغى البحث عن تفسير فى الطابع غير المتجانس للفئات الحاكمة ، ومصـــالح مجموعاتها المتصادمة ، وخلافاتها ضيقة الافق ، والمنافســـة بين الدول الامبريالية والدول الكبيرة المجاورة التى تستند الى الدوائر المختلفة للاوليجاركية المحلية .

بيد أنه من الثلاثينات فصاعدا بدأ عدم الاستقرار الحكومى يحدده بصورة متزايدة نضال الشعب العامل ضد الفقر والاستغلال والاضطهاد الرأسمالى الاجنبى .

كانت بوليفيا أول بلد فى أمريكا اللاتينية يتحدى الاحتكارات الامريكية : فقد أممت تسهيلات تكرير النفط منذ عام ١٩٣٧ . وأحدثت ثورة ابريل ١٩٥٢ تغييرات راديكالية فى بنية بوليفيا الاقتصادية الاجتماعية . وقوض تأميم صناعة التعدين والاصلاح الزراعى مركز بارونات القصدير وكبار ملاك الاراضى . وصل الجيش القديم وتشكلت ميليشيا شعبية . وتفتحت حركة نقابية قوية واتحدت لتشكل مركز العمال البوليفيين . وحصـــل الحـــزب الشيوعى البوليفى ، الذى تأسس عام ١٩٥٠ ، على تجـربته الاولى فى النضال .

ومع ذلك ، كان النضوج السياسى للبروليتاريا ، وفقراء الفـــلاحين وزعمائهم غير كاف ، وسمح ذلك بانتقال المبادرة الى البرجوازية المحلية ، التى استخدمت المكاسب الثورية الديموقراطية لتعزيز مواقعها الاقتصادية والسياسية . وانجرفت عملية التحويلات تدريجيا الى الاصلاحية . ونزع سلاح الميليشيا الشعبية وحلت ، وأعيد الجيش بمعـــونة المستشـــارين الامريكيين ، وأعطى وظيفة المحافظة على « الامن الداخلى » . وأعيد فتـــح الباب أمام رأس المال الاجنبى .

ووصل الضباط الوطنيون الى السلطة على قمة هبة للحركة الجماهيرية قرب نهاية الستينات . ومع ذلك فالاصلاحات التقدمية التى نفذوها أوقفها بالقوة عام ١٩٧١ الانقلاب العسكرى الذى قاده هوجو بانزر . وتبع هـــذا الانقلاب فترة دكتاتورية وحشية . وأعلن الحزب الشيوعى البوليفى أن هذا النظام « يؤيد مصالح البرجوازية الموالية للامبريالية ، وفى نفس الوقت ، يلقى مســـاندة البرجوازية المتوســـطة » المرتبطة بالقطاع الرأســـمالى العام وكذلك برأس المال الاحتكارى من خلال القروض والسوق » . واذا ماحكمنا عليه بأساليبه السياسية ، وشكل الحكومة ، ومبادئه المعلنة واعمال القمع فان هذا النظام ينطبق عليه تماما نموذج الفاشية » .

وفي نهاية العقد أجبر افلاس دكتاتورية بانزر وازياد أعمال الجماهير كثافة ، الدوائر الحاكمة على تعديل سياستها ، واعلان الانتخابات ، واعادة المؤسسات الدستورية ، وساد الشعور بأن هذه التنازلات ستأتي الى السلطة بخلف بانزر الجنرال بيريدا أسبون أو كتلة البرجوازية اليمينية التى يراسها فيكتور بازاستنسورو . وكما اتضح ، كانت البرجوازية الكبيرة تامل عبثا . وخلال عامين دعى الشعب البوليفى الى الاقتراع ثلاث مرات ، في كافة تلك المناسبات كان أكبر عدد من الاصوات من نصيب هيرنان سيلز زوازو مرشح جبهة الوحدة الشعبية والديموقراطية ، وهى اتحاد للقوى اليسارية يضم الحزب الشيوعى .

وفى الانتخابيين الاولين عملت الرجعية باستخدام أعمال العنف ودونها ، على منع وصول حكومة شعبية الى السلطة . وزورت نتائج الانتخابات وسوفت اجراءات التصديق عليها . كما لجأت الى المؤامرات وراء الكواليس لبذر الفرقة داخل التحالف اليسارى وتقسيم صفوفه . وشاركت السفارة الامريكية ومركز ضغط واشنطن من السياسيين المحليين فى هذه المناورات . وعند اللحظة الحرجة دفعت الرجعية بالجيش لاستعادة مواقعها . وفى عام ١٩٧٨ ألغى انقلاب بيريدا أسبون نتائج الانتخابات ، كما ألغاها عام ١٩٧٩ الانقلاب الذى قاده الكولونيل ناتوش بوش . ولكن لا المناورات السياسية ولا التمردات العسكرية أثرت على تصميم الشعب . ولقد منعت وحدة القوى الديموقراطية ، التى أصبحت ممكنة لدرجة كبيرة من خلال نمو نضالية الشعب ، والاعمال المثابرة للحزب الشيوعى البوليفى وحلفائه ، ومساندة ضباط الجيش الدستوريين لعملية اشاعة الديموقراطية،البرجوازية والامبريالية من فرض ارادتها على الشعب .

وفى انتخابات يونيو ١٩٨٠ حصل مرشح التحالف اليسارى على أكثر من ثلث الاصوات ، أى ، أكثر من مجموع الاصوات التى حصل عليها أقرب منافسيه ــ بازاستنسورو والدكتاتور السابق بانزر . وفى ظل الدستور البوليفى فان التعيين فى منصب الرئيس يتطلب الحصول على أغلبية مطلقة من الاصوات . وفى حال الحصول على أغلبية نسبية يوكل انتخاب الرئيس للكونجرس القومى . ولم يكن هناك شك فى أن توزيع القوى كان فى صالح مرشح الجبهة اليسارية . وحتى كان عَلى باز استنسورو أن يعترف أن الشعب قد منح تأييده لسيلس زاوزو . وبالاضافة الى ذلك ، سجلت القوى اليسارية التى لاتنتمى الى الجبهة المتحدة الشعبية والديموقراطية . نجاحا كبيرا فى انتخابات يونيو . وعلى العموم ، فان الجبهة المتحدة الشعبية والديموقراطية قد حصلت على حوالى نصف مجموع الاصوات .

ولم يكن سرا أن الجيش كان يعد لانقلاب فى حالة انتصار الجبهة المتحدة الشعبية والديموقراطية . وحارب الانقلابيون بوحشية من أجل المنصب

الرئيسي لقائد القوات البرية . وخضع الرئيس المؤقت ليديا جويلر للضغط ، وسلم هذا المنصب للجنرال جارسيا ميزا ، خادم بنزر . وأعلن جارسيا ميزا المرة بعد الاخرى أن الحزب لن يسمح « للمتطرفين الماركسيين » بالاستحواذ على السلطة . وفى الحقيقة ، فقبل الانقلاب بوقت طويل بدأ اليمينيون فى ابادة « العناصر غير المرغوب فيها » . وأصبحت خطة المدى الطويلة — ١١٦ معروفة للجميع : فوفقا للمنشور الدورى ١٪٨ رضع فرع المخابرات فى الجيش قوائم سوداء ، بينما انطلقت العصابات المسلحة من الفالانج « أعضاء حزب الفالانج الاشتراكى البوليفى الفاشى » لتنفذ الابادة الجسدية لمناضلى الاحزاب اليسارية والنقابات . وفى نفس الوقت أجرى المتآمرون تغيرات فى القطاع القيادى للقوات المسلحة ، وأبعدوا الضباط الدستوريين والتقدميين أو عينوهم فى مناصب أدنى .

ورأى الحزب الشيوعى بوضوح الخطر البادى . وأعلنت لجنته المركزية : « ان النشاط التخريبى للفاشيين ونزعتهم الانتقامية الصريحة هى دلائل على انهم متعطشون لعودة دموية وأنهم يتحينون الفرصة لتقوية مراكزهم لكى يتجنبوا الهزيمة ويسحقوا أعمال الجماهير عن طريق العنف الوحشى » . وفى هذا الوضع سعى الحزب الى توحيد الشعب ، واثارته للدفاع عن المكاسب الديموقراطية . وكان الشيوعيون نشطين فى لجنة الدفاع عن الديموقراطية التى وحدت ٢٨ حزبا ومنظمة سياسية . وألح الحزب الشيوعى البوليفى على الحاجة الى صلات قوية مع العسكريين التقدميين ، واتخذ خطوات فى هذا الاتجاه . ومع ذلك ، فقد كانت القوى غير متكافئة : فالقوات المسلحة كان يسيطر عليها عملاء بنزار . وحول الجيش بنادقه ضد الشعب .

وفى كافة المسائل اتفقت أعمال الانقلابيين البوليفيين مع الاساليب التى استخدمها العسكريون الشيليون . ففى كلتا الحالتين يستخدمون فرق العاصفة للاحزاب الفاشية : « حزب الحرية » فى شيلى و « الفالانج » فى بوليفيا وفى كلتا الحالتين استفاد الانقلابيون من خدمات عناصر « مدربة » على التعذيب . فقد تم تدريب البوليس الشيلى على يد رجل العاصفة السابق والتر روف ، واستخدم البوليس السرى البوليفى خدمات كلاوس باربى « اليأس التمان » الرئيس السابق للجستابو فى ليون . وتحضيرا للانقلاب ، قام الرجعيون البوليفيون والشيليون باعداد الضباط أيديولوجيا وأخبر الاخيرين انه اذا ما اتت حكومة يسارية الى السلطة فانها ستحل محل الجيش ميليشيا شعبية .

ويتحدث العسكريون الشيليون والبوليفيون نفس اللغة : لقد نفذ الانقلاب لحساب « التعمير القومى » لانقاذ البلاد من أن تصبح « تابعا للشيوعية الدولية » . ويعلن جارسيا ميزا مثل بينوشيت : « سأبقى طالما كان على

ان أقضي على السرطان الماركسي ، سواء كان خمس سنوات أو « ١٠ أو ٢٠ » .

ومع ذلك فالشعب البوليفي ليس على استعداد للاستسلام للدكتاتورية . فالشيوعيون ، والديموقراطيون البرجوازيون التقدميون ، والاشتراكيون ، والكاثوليك ، وكافة الوطنيين الحقيقيين الاخرين يشاركون فى المقاومة . لقد حمل عمال التعدين والطلبة السلاح . وتواجه زمرة جارسيا ميزا معارضة قوية من الحركة النقابية التى يترأسها المركز النقابي البوليفي . وتعمل الحكومة التى شكلها سيلس زاوزو سرا . وترفع الكنيسة الكاثوليكية والمنهجية صوتها بالاحتجاج . ولا يستطيع الدكتاتور الجديد أن يعتمد على تأييد الجيش بكامله كذلك . وشكوكه حول اخلاص العديد من الضباط لها مايبررها . وكانت هناك حالات تمرد حتى بين كبار الضباط وتنتشر المشاعر المعادية للفاشية بقوة فى القوات المسلحة . وتشتد حملة التضامن الدولي مع شعب بوليفيا . لقد وجد النظام الجديد نفسه معزولا على المسرح العالمي .

وفى ظل هذه الظروف تحاول عصابة جارسيا ميزا ، أولا ، أن تحطم المنظمات التى تشكل قاعدة المقاومة بأكبر سرعة ممكنة وتضع أسس دولة شمولية . وثانيا ، بدأ جارسيا ميزا ومن يساندونه العمل من أجل شويش وكسب الجماهير . وقد صدر أمرا بتجميد الاسعار لكسب التأييد وتتحدث الزمرة عن الحرب ضد الارباح الفاحشة ، والبطالة ، والتضخم ، وعن نيتها فى « رفع المستوى المعنوى للادارة » . ومن ناحية أخرى ، فانها تخاطب المشاعر القومية وتستخدم بعبع التهديد الخارجي . وفى ذلك أيضا فانها تشبه لدرجة كبيرة سياسة بينوشيت . بيد أن جارسيا ميزا ذهب الى آفاق أبعد . انه يقدم نفسه كمدافع عن الطريق الوسط « ستتقدم بوليفيا رغم امبريالية اليسار واليمين » ويحاول أن يستفيد حتى من المشاعر المعادية للولايات المتحدة . وتقدم الزمرة للشعب خدعة المشاركة فى ادارة المؤسسات الصناعية وفى ادارة الدولة . وأخيرا ، يعلن جارسيا ميزا ، وهذا هو منتهى السخرية ، أن حكومته « تعكس التقاليد النظرية والايديولوجية الغنية للاشتراكية المناضلة القومية المعادية للاوليجاركية »

وتطابق « ميكانيزمى » الانقلابين وسياسة الدكتاتوريتين العسكريتين فى شيلي وبوليفيا ليس محض صدفة . ونفس الاسلوب يلفت النظر : فقد اتخذ السيناريو الشيلى كأساس للعسكريين البوليفيين . وبينوشيت يجد مساندة من المخابرات المركزية ومن الاحتكارات متعددة الجنسية . وعلى المسرح

السياسى فى بوليفيا لعب الدبلوماسيين الامريكيين ، والخبراء العسكريين ، وعملاء المخابرات الذين يتخفون فى زى رجال الاعمال ، والصناعيين الذين يجمعون ((تكليفات)) المخابرات المركزية ، لعب كل هؤلاء على الدوام دورا واضحا . وفيما بعد ، حرصوا على تمويه نشاطهم ، ولكن حقيقة أن هذا النشاط يزداد اتساعا لا يمكن اخفاؤها .

واليوم تدعى حكومة واشنطن أنها فى حـــدود معلوماتها لم يكن الانقـــلاب متوقعا كلية . وهى تعرب عن الاسف وتدين انتهاكات حقوق الانســـان فى بوليفيا . لكن الرأى العام العالمى يعرف علاقات البنتاجون والمخابرات المركزية الطويلة مع العسكريين فى بوليفيا . ومعظم الذين قمعوا الديموقراطية بعنف فى بوليفيا تلقوا تدريبهم فى جيش الولايات المتحدة . ودرب خبراء البنتاجون الضباط البوليفيين على العمليات المضادة للهبة وساعدوا على تشـــكيل وحدات رانجر ، التى خضبت يديها بدماء المكافحين من أجل حرية شعبنا .

وقد سارعت حكومة كارتر الى التملص من نظام جارسيا ميزا . وأعلنت وقف المعونة العسكرية والاقتصادية لبوليفيا ، واســـتدعاء البعثة العســـكرية الامريكية ، وخفض عدد أفراد السفارة الامريكية . ومع ذلك ، فانهم بالفعل فى الولايات المتحدة مسرورون تماما من أعمال الانقلابيين . وقد وصفت واشنطن بوست الانقلاب بأنه « فعال »

وما يبدو سريا اليوم سيصبح معروفا لكل الناس فى الغد . وســـيعرف العالم حقائق جديدة عن تواطـــؤ الوكالات السرية للولايات المتحـــدة فى التطورات المأساوية فى بوليفيا . ولكن المهم اليوم ليس هو الاهتمام بالخصائص بالدرجة الاولى وانما رؤية حقيقة أن الانقلاب الذى حققـــه العســـكريون البوليفيون بخصائصه والنظام الذى أقاموه ينسجم مع الخط الجـــديد للاستراتيجية العالمية لحكومة واشنطن .

ان ((السيناريو الديموقراطى)) الذى اقترحـــه لامريـــكا اللاتينية الاستراتيجيون اليانكى قد اختصر . والنظام الذى سيجد تشجيعا اكثر من غيره هو النظام البرلمانى ليمين الوسط . ولكن اذا كان تقـــدم القـــوى الديموقراطية لايمـــكن وقفه ، واذا ثبت عدم فعالية كافة وســـائل الضغط السياسى ، فان السيناريو يجعل الفاشيين أمرا مقبولا . وفى هـــذا الخصوص ، ففى الوقت الذى نرى فيه توافق التطورات فى شيلى وبوليفيا ، ينبغى الاشارة الى حقيقة أن الرجعية والامبريالية قد اســـتخدمت فى بوليفيا

كل قوتها ضد الديموقراطية مبكرا منذ « مرحلة فيو » (١) .

وبخصوص التكتيكات التى استخدمها الرجعيون والامبرياليون فى شيلى وبوليفيا ، قال فيدل كاسترو : « انهم يتحدثون عن البرلمان ، والدستور والديموقراطية . انها ديموقراطية رائعة تلك حينما يجرى تجاهل الشعب تماما ، وعندما يصوتون فى الانتخابات لحكومة تقدمية فيتم انقلاب فاشى ويبدأ القمع » (٢) .

وعندما أكمل العمل المشئوم تملص الامبرياليون منه وحتى قطعوا علاقاتهم مع النظام الجديد . وهم ينتظرون حتى تهدأ العواطف وسرعان ما ستصل المساعدات بأبعاد لم يسبق لها مثيل . ومثال شيلى بالغ الدلالة فى هذا الخصوص . لكن الامبريالية تحتاج الى بنى أكثر حداثة ، وتشجع تحديد واجهة الانظمة الاستبدادية اليمينية وتساند خطها نحو التحديث السياسى والاقتصادى .

تعتبر بوليفيا قلب القارة جغرافيا . ويمكن أن نسميها كذلك بالمركز العصبى الحساس للغاية للتغيرات فى الوضع السياسى لامريكا اللاتينية . ولقد مرت موجة الانتقام المعادى للثورة فى أوائل السبعينات أولا ببلادنا . كما لطمت الموجة الجديدة بوليفيا كذلك فى ١٩٨٠ . بيد أن شعوب المنطقة اليوم قد زادت قوتها . وسيقف شعب بوليفيا لمواجهة الهجوم . وسيبدأ الهجوم بالتأكيد ليحطم الزمرة الارهابية . ويقف الشيوعيون فى الصفوف الاولى للمكافحين ضد الدكتاتورية . ويسيرون كتفا الى كتف مع كافة الوطنيين ، ومع الديموقراطيين الحقيقيين . والتضامن الدولى يعزز روح المقاومة . ونحن فى حاجة اليه لفضح جرائم الزمرة ولتنظيم حملة واسعة لاطلاق سراح المسجونين السياسيين ، ولعزل النظام الفاشى على المسرح الدولى ، وحرمانه من المساندة الخارجية العسكرية والاقتصادية .

●

---

(١) حاولت مجموعة الجنرال روبرتو فيوما راميو القيام بانقلاب لمنع وصول سلفادور الليندى الى الرئاسة . ولكن الشعب الشيلى أحبط خطط المتآمرين ـ المحرر .
(٢) جرانما ، ٢٨ يوليو ١٩٨٠ .

اتجاهات جديدة
فى حملة معاداة الشيوعية

بقلم: ريجوب جرون

آخر دراسات للرأى العام فى الدنمرك قد بينت أن ٨٥٪ من الشعب يعتقدون بأن حربا عالمية أخرى لا يمكن تجنبها • والشعب لايريد الحرب بالطبع • لكن الدعاية الامبريالية تقوم بدورها الخسيس ،وهى تعرف أن امكانيات قوى العدوان تنمو مع انتشار الشعور بأن الكارثة العسكرية لامفر منها•والحجج الرئيسية فى النضال من أجل الرأى العام ، الذى يعتبر مجالا حاسما للمواجهة الطبقية فى العالم الحديث ، تستند اليوم الى سلسلة لا نهاية لها من أكاذيب أجهزة الاعلام البرجوازية حول « العدوان السوفييتى » ، والخطر الناجم عن « نمو القدرة العسكرية السوفييتية » موجهة الى شعوب غرب أوربا ، وما الى ذلك • والطابع الجماهيرى لهذه الحجج وأبعادها الجغرافية الضخمة ، وكذلك النتائج التى سجلت على مستوى الوعى الجماهيرى كلها تشير الى نطاق حملة الدعاية الامبريالية •

ويصور ملهمو ومنفذو تلك الحملة اتهاماتهم الموجهة ضد الاتحاد السوفييتى باعتبارها أعمالا قاصرة تماما على العلاقات بين الدول ولحماية « المدينة الغربية » ضد « المعتدى الاحمر » • وهذا بالفعل ، ليس أكثر ولا أقل من موجة أخرى من معاداة السوفييت كذلك ، وضد الاسس الاقتصادية والسياسية للاشـــتراكية المنتصرة ، وضد طبيعة المجتمع الجديد ذاته وخصائصه الاساسية •

وتوقت الحملة الحالية المعادية للسوفييت بالتدعيم الكبير للمواقع السياسية والايديولوجية للتجمع العسكرى الصناعى فى البلدان الصـــناعية المتطورة ، والانتقال الواضح الى اليمين من جانب زعماء هـــذه البلدان ، وكذلك « كجزء لاينفصم من عملية متكاملة » الازدياد العام لحدة النشاط المعادى للشيوعية من جانب المتحدثين السياسيين الرسميين وأيديولوجى رأسمالية الدولة الاحتكارية • وتكشف هذه الحملة أن معاداة الســـوفييت كانت ومازال العنصر المكمل ، والتوجه الرئيسى لاستراتيجية معاداة الشيوعية على نطاق العالم •

ويعود ذلك الى فعل عديد من العوامل الموضوعية • وأهم هذه العوامل هو أن الاتحاد السوفييتى كان أول بلد يحطم ســـلسلة الامبريالية العالمية ، ويقود الطريق للبشرية نحو عصر شيوعى جديد ، وأنه الطليعة المعترف بها لكل البشرية التقدمية ويترأس الجبهة العريضة للنضال ضد الامبريالية ، وأنه قوة كبرى ذات امكانيات اقتصادية وعسكرية ضخمة ، وقد عارض لاكثر من ستة عقود كافة المطامع العدوانية للامبريالية ، وهو من حيث المبدأ حامى الســـلام على الارض ، وحصن النضال من أجل الأنفراج ، ومن أجل أمن كافة البلدان •

وحقيقة أن معاداة السوفييت هى بالطبع جوهر معاداة الشيوعية لاتعنى بأية حال أن زعماء البرجوازية السياسيين والايديولوجيين ينظـرون باستحسان الى الاشتراكية فى بلدان مثل المجر أو جمهورية ألمانيا الديموقراطية ، على ســبيل المثال ، أو يخففون من آكاذيبهم عن بلدان الاسرة الاشتراكية الاخرى • كلا بأية حال !فرغم مبدأهم «الموقف المتباين»والذى يهدف الى تقويض الصداقة والتعاون بين البلدان الاشتراكية ، يهاجم أعداء الشيوعية بوحشية الاشتراكية القائمة حيثما تسود وتتطور • ولديهم « حساب خاص » مع الاتحاد السوفييتى والحزب الشيوعى السوفييتى أولا ، لان الاتحاد السوفييتى والحزب الشيوعى السوفييتى كما ذكرنا من قبل ، هما العاملين الرئيسيين الموضوعيين اللذين يعرقلان خطط الامبريالية • وثانيا ، لان لديهما أوسع خبرة فى بناء المجتمع الجديد ولان المغزى الدولى لهذه الخبرة ينمو بصورة ضخمة •

وبالنسبة لشعوب البلدان الاخرى كان المثال التاريخى للشعب السوفييتى ومايزال مصدرا دائما للالهام فى النضال الطبقى ضد البرجوازية المحلية وضد الامبريالية على المسرح الدولى • ولهذا السبب على وجه التحديد ، فان معاداة

الشيوعية ، اذ تتصرف في جبهة عريضة ضد الاشتراكية القائمة فى مجموعها وضد الطبقة العاملة العالمية وحركات التحرر الوطنى ، تسعى أساسا الى تقويض هيبة الاتحاد السوفييتي وتقليل أهمية خبرته وتأثير مثاله ، والى عزل الاتحاد السوفييتي ، وتحطيم صلاته التى تزداد قوة مع البلدان الاشتراكية الشقيقة وكذلك صلات الحزب الشيوعى السوفييتى مع الحركة الشيوعية العالمية ٠

ان الاستعداد لاستخدام أية وسائل للتوصل الى هـــذه الاهداف يحدد كل نطاق الادوات والاساليب التى يستخدمها أنصار معاداة السوفييت ٠ وهــذه تتضمن تشويه تاريخ المجتمع السوفييتى «في الارتباط بالجهود التى تهدف الى الاستفادة من الصعوبات الموضوعية والذاتية لتطوره » والافتراء الفج ضـــد الحزب الشيوعى السوفييتى والشعب السوفييتى ، وتشويه السياسة الخارجية والداخلية السوفييتية ٠ وتستخدم كافة المبررات ، وليس فقط تلك التى تسمح بتمويه مشاكل الرأسمالية الخاصة ودفع الناس الى الاعتقاد بأن الوضـــع « سيىء » فى الاتحاد السوفييتى ، أو على الاقل « ليس بأفضل » ٠

دعونى أوضح ذلك ٠ اذ يعانى العالم الرأسمالى ، بما فيه الدنمرك أزمة طاقة قاسية يزعم أعداء الشيوعية أنها أزمة على نطاق العالم تشـــمل البلـــدان الاشتراكية كذلك ، بينما ينشر الكتاب المأجورون المعادون للســـوفييت فى الصحافة الدنمركية باهتمام تقارير المخـــابرات المركـزية التى تزعم بأن احتياطيات الغاز والنفط السوفييتى على حافة النفاذ وأن الاتحاد السوفييتى قد حول أنظاره كذلك الى الاستيلاء على الشرق الاوسط ٠

ومع كل أصناف الاتجاهات المعادية للديموقراطية المتفشية فى الدنمرك اليوم ــ العدوان على حق الجماهير العاملة فى الاحزاب ، واستخدام البوليس «لتشويه» نزاعات العمل ، ومضايقة الموظفين لاسباب سياسية ، وما الى ذلك ٠٠ تتصاعد الحملة المعادية للسوفييت والتى تتهم الاتحاد الســـوفييتى بأن الديموقراطية « غير موجودة » وبأن حقوق الانسان تنتهك هناك ٠

وأحد الامثلة الاخرى الحديثة نسبيا عن الطريقة التى يعمل بها المعادون للشيوعية فى بلادنا هى « المعلومات » التى تقدمها وسائل الاعلام البرجوازية عن اجتماع باريس للاحزاب الشيوعية والعمالية فى أبريل الماضى ٠ ففى الوقت الذى تنكر فيه وسائل الاعلام البرجوازية على الشيوعيين الحق فى استخدام الراديو والتليفزيون « تحت حجة أن آراءهم لاتتفق ومصالح الشعب » تذهب الى أبعد الحدود للبرهنة على أن دعوة الاجتماع لبذل جهود أكبر فى النضال من أجل السلام والانفراج كانت ذات مغزى محدود ٠ وأكدت أن « غرض اجتماع باريس كان الموافقة على المساعدة السوفييتية لافغانستان » ٠

وعند تقييم المضمون المتعدد الوجوه للايديولوجية والدعاية المعادية للسوفييت

من المهم أن نرى أن الافكار الرئيسية المختلفة موضوعيا لها مغزاها الخاص وتلعب دورا يائسا في الاستراتيجية والتكتيك الشاملين لعاداة الشيوعية وترتبط بعض هذه الافكار الرئيسية باحتياجات الوضع ، وبالحقائق والتطورات المؤقتة ، بينما تشكل غيرها ، على العكس ، « العتاد الرئيسي » للخطوط الاستراتيجية المرشدة لعاداة السوفييت ، وهى تستهدف الأستخدام الطويل ولذلك فانها الاكثر خطرا ٠

وتتضمن الاخيرة الفكرة الرئيسية التى تستخدم على نطاق واسع ويروج لها « تفرد » دروس ثورة أكتوبر ، وعن « الطابع المحدود » للينينية والطريق السوفييتى الى الاشتراكية ، وقابليتها للتطبيق فقط فى ظروف روسيا ٠ وينبغى القول بأن هذه الفكرة ، التى تهدف الى تقويض وحدة الحركة الشيوعية وحركة الطبقة العاملة ومطامح البلدان النامية الجديدة للسير فى التطور الاشتراكى ، قد أعطت للاسف وما تزال تعطى بعض النتائج السلبية ٠ ان بعض زعماء حركة التحرر ، بعد أن شوهوا جدليات العام والخاص ، قد ركزوا بشكل مبالغ فيه على خصائص الطرق القومية المختلفة الى الاشتراكية بما يضر بالقوانين التاريخية التى تحكم النضال الثورى ٠

وعندما يلجأ أى حزب شيوعى الى الاستفادة من تجربة الحزب الشيوعى السوفييتى ، يصور أيديولوجيو العداء للشيوعية بخبث هذا على أنه دليل على « الافتقار الى الاستقلال » ، وعلى أنه قد أصبح « أداة للاتحاد السوفييتى » ، أو حتى على خيانة « المصالح القومية » ٠ ومع ذلك ، فمن الواضح تماما لكل امرىء أن هذا التشويه للتضامن الثورى ، ولاممية الحركة الشيوعية العالمية لا علاقة له بالحقيقة ٠

واذا ماكان لنا أن نتحدث ، على وجه الخصوص ، عن الحزب الشيوعى الدنمركى ، فانه لايعتبر على الاطلاق أن خبرة الاتحاد السوفييتى والحزب الشيوعى السوفييتى ينبغى أو يمكن أن تستخدم بشكل أعمى فى البلدان الاخرى ٠ وبالاضافة الى ذلك ، فان برنامج حزبنا لايحوى أى كلمة عن أية « نماذج » للاشتراكية التى كثيرا مايتلاعب بها كبار كهنة الرأسمالية المعاصرة ٠ ونحن لانعتبر أن بمقدور المرء أن يتحدث عن نموذج « دنمركى » خاص ، ولكننا واضحون حول مسألة أن تطور التاريخ ، والانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية تحكمها بعض القوانين العامة وأن هذه القوانين تكشف عن نفسها بطريقتها الخاصة ، وتكتسب سمات مختلفة فى الظروف المتميزة السائدة فى هذا البلد أو ذاك ٠ ولهذا السبب فان تجاهل أو رفض خبرة أول بلد اشتراكى والتهوين من خبرة الاحزاب الاخرى ، ورفض النظرية الثورية للماركسية اللينينية يمكن أن يعادل « بغض النظر عن النوايا الذاتية » الوقوع فى الشرك الذى نصبه أعداء الشيوعية ٠ ولا يمكن تحقيق أى تقدم دون معرفة الخصائص القومية ٠ وحيثما

يتم تجاهل القوانين العامة أو حينما يسمح بأن تطمس الخصائص القومية هذه القوانين ، ربما ينتهى التطور الى كارثة ٠

– ٢ –

شهدت أواخر السبعينات وبداية الثمانينات ليس مجرد احياء لمعاداة الشيوعية ومعاداة السوفييت وانما كذلك تغيرا ملموسا فى طابع نشاطها ٠ وكانت التغيرات الرئيسية هى فى تحول أعداء الشيوعية الى المواجهة السياسية والايديولوجية « الصريحة » مع الحركة الثورية الدولية على نطاق العالم مع الاستخدام الواسع لاساليب الحرب النفسية ٠ وبالتالى ، فان محور استراتيجية معاداة الشيوعية يتمثل فى محاولة تحطيم الانفـراج ، واغراق البشرية فى حرب باردة أخـرى بأسطورة « التهديد العسكرى السوفييتى » باعتبارها سلاحها الرئيسى ٠

ويستخدم دعاة الامبريالية هذه الاسطورة فى محاولة لصرف انتباه الجماهير العاملة فى البلدان الرأسمالية عن المشاكل الحقيقية للمجتمع الرأسمالى ، وفى نفس الوقت ، تبرير « حاجة » الامبريالية لسباق التسلح وبالتالى ارضاء مصالح التجمع الصناعى العسكرى للولايات المتحدة وحلفائها فى حلف الاطلنطى وغيره من الاحلاف العسكرية ٠ وتواصل الرأسمالية وفقا لمنطقها الداخلى رؤية الحرب كمخرج لها من أزمتها ٠ وبالاضافة الى ذلك ، يحاول أعداء الشيوعية تخويف الرأى العام بعدوانية سوفييتية يتخيلونها ، مروجين لفكرة أن الانفراج يقـدم للبشرية « مستقبلا غير مضمون » ، وأنه « طريق ذو اتجاه واحد » يستخدمه فقط الاتحاد السوفييتى وأنصاره ٠

وغنى عن القول ، أن الشـيوعيين لم ينـكروا اطلاقا أن الانفراج والتعايش السلمى يفيدان الاشتراكية ٠ وقد قال لينين ذات مرة « ان السلام سيدفع قضيتنا على وجه التحديد أكثر من الحرب » « ويفتح قنوات أوسع مئة مرة لنفوذنا » (المؤلفات الكاملة ، المجلد ٣٠ ، ص ٤٥٢ – ٤٥٣) ٠ ومع ذلك فالتفكير السليم يجعل من الواضح أن الانفراج مرغوب فيه ليس من قبل الشيوعيين وحدهم أو من قبل شعوب البلدان الاشتراكية وانما كذلك من قبل كافة الشعوب الاخرى فى العالم لانه فى الوضع القائم يشكل مفتاحا للمحافظة على السلام على كوكبنا ٠ وعند الاعراب عن هذا الرأى ، أعلن ممثلو الاحزاب الشيوعية الاوربية ، بما فى ذلك الحزب الشيوعى الدنمركى ، فى مؤتمر ابريل فى باريس : « بغض النظر عمن تكون وحيثما نعيش فى أوربا ، ففى امكاننا ان نستفيد من تسوية المشاكل القائمة عن طريق المفاوضات ٠ وفى امكاننا أن نستفيد من خفض التسلح والقوات المسلحة ، ومن التقدم على طريق نزع السلاح ، الذى يتفق مع متطلبات الامن المضمون والمتكافىء لكافة الدول والبلدان »

وانه لزائف كذلك القول المخالف للمدافعين عن العداء للسوفييت بأن تهديد

الانفراج لايأتي من قبل أكثر القوى رجعية للامبريالية الامريكية ، وانما من قبل الاتحاد السوفييتي ، ومن سياسته الخارجية « العـدوانية » • والذين راقبوا التطورات حتي بشكل سطحي يدركون أن الاتحاد السوفييتي طوال تاريخه كان المبادر الرئيسي لسياسة التعايش السلمي وتخفيف التوتر الدولي ، وأن الحزب الشيوعي السوفييتي والحكومة السوفييتية في السـنوات الاخيرة قد تقدما مرارا بمبادرات سلمية ، وأبديا استعدادهما الدائم للتفاوض من أجل خفض التسلح ، واتخذا خطوات عديدة في هذا الاتجاه •

ان هجمات السياسيين والايديولوجيين الامبرياليين على الانفراج تجعل من الواضح للغاية أن معاداة السوفييت تؤثر على المصالح الحيوية ليس فقط للاتحاد السوفييتي وانما كذلك لكافة قوى الحركة الثورية العالمية ، وأنها متحيزة ليس فقط ضد الشعب السوفييتي وشعوب البلدان الاشتراكية الاخرى ، وانما كذلك ضد بقية البشرية التقدمية ، والجماهير العاملة في العالم بأسره •

ويمكن رؤية ذلك في الاعتماد المباشر بين مواصلة سباق التسلح المصـاحب للعداء للانفراج ومواصلة التدهور الخطير لمستوى معيشة الجماهير العاملة في البلدان الرأسمالية والنامية • وقد أشـار مؤتمر برلين للاحـزاب الشيوعية والعمالية الاوربية في ١٩٧٦ الى أن « نمو نفقات سباق التسلح يقع عبؤها بدرجة متزايدة على الجماهير العاملة وجماهير الشعب • واذا ما أنفقت هذه الموارد الضخمة على رفع مستويات معيشـة الشـعوب ، وعلى التغلب على التخلف الاقتصادي ، وعلى المعونة والمساندة للبلدان النامية وعلى حماية البيئة ، فان ذلك سيكون مفيدا لدرجة كبيرة لتقدم البشرية بأسرها » •

ان معاداة الشيوعية ومعاداة السوفييت ذات النزعة الحربية تجعل من الاصعب بوضوح على الجماهير العاملة في البلدان الرأسمالية والنامية مواصلة النضال من أجل التقدم الاجتماعي والديموقراطي • وعند ترديد المزاعم المتطرفة المعادية للسوفييت حول أن الاتحاد السوفييتي يخرج « بمزايا ذات جانب واحد » من الانفراج ، فان الراديكاليين البرجوازيين الصغار من مختلف الاتجاهات يؤكدون أن العمل من أجل الانفراج يعني التراجع عن مبادىء الصراع الطبقي و « مساعدة الرأسمالية » و « تجميد الوضع الاجتماعي السياسي القائم » ، وبالتالي خيانة الطبقة العاملة والقوى الثورية الاخرى التي تكافح الامبريالية • ومع ذلك فهذه الحجج تتناقض مع الواقع •ويكفي أن نتذكر التغييرات الثورية العظيمة التي حدثت في العالم في السنوات الاخيرة • فهذه التغيرات التي شملت أوربا وآسيا وافريقيا وأمريكا الوسطى والجنوبية ، قد أوضـحت أن الانفراج يوسع من امكانيات الحركة الثورية ويضيق لدرجة كبيرة من مجـال عمل قوى العدوان والرجعية الامبريالية •

ومن ناحية أخرى ، فمن الصحيح أن أى هجوم معاد للشيوعية ، وبخاصة اذا ماكان موجها ضد الانفراج ، تستخدمه الحكومات البرجوازية « بما فى ذلك الاشتراكيون الديموقراطيون » بشكل ثابت للهجوم ليس فقط على المصالح الاقتصادية للجماهير العاملة وانما كذلك على حقوقها الديموقراطية ، ويستخدم لتبرير قمع وارهاب القوى اليسارية ، وفى الاساس الطليعة الثورية للبروليتاريا وحلفائها ـ الاحزاب الشيوعية والعمالية ٠

وفى الدنمرك ، على سبيل المثال ، يلجأ الاصلاحيون على الدوام الى الدعاية المعادية للسوفييت « وأخيرا ، فيما يتعلق بمساعدة أفغانستان » لصرف الانظار عن مناقشة المسائل الاجتماعية الملحة المرتبطة بالازمة الاقتصادية ٠ وفى نفس الوقت ، فان هذا النشاط المعادى للسوفييت والمعادى للشيوعية يؤدى الى نتائج سلبية فى مجال السياسة ٠

وأخيرا ، ففى الوقت الذى يستخدم فيه أنصار معاداة الشيوعية ومعاداة السوفييت والسياسيون السائرون فى ركابهم بعبع « التهديد السوفييتى » ويشعلون هستيريا الحرب ، يشاركون فى هجوم واسع ضد المصالح الوطنية لبلدانهم ٠ وفى أوربا اليوم ترتبط الدعوات الى التضامن فى وجه « تهديد سوفييتى » مفترض ببرنامج من الاعمال المعادية للوطنية من جانب حلفاء الولايات المتحدة فى حلف الاطلنطى ـ موافقتهم على توزيع « الاسلحة الاوروستراتيجية » الجديدة على أراضيهم ، والمشاركة فى العقوبات الاقتصادية المختلفة وغيرها ضد الاتحاد السوفييتى (رغم الضرر الواضح الذى توقعه هذه العقوبات على شعوب غرب أوربا) ٠

والتكثيف الحاد لمعاداة الشيوعية بشكل عام ، ومعاداة السوفييت بشكل خاص ، فى السياسة والايديولوجية يطرح بحدة مسألة الحاجة الى مقاومة فعالة لهذه الظواهر ٠ وهذه المقاومة يجب أن تشن بكافة الوسائل الممكنة وفى كافة المجالات ـ الايديولوجية ، والنظرية ، والتنظيم والسياسة ٠

وحيث أن اعداء الشيوعية قد نقلوا جهدهم الاساسى الى مجال الوعى العادى ويستخدمون على نطاق واسع أساليب الدعاية « النفسية » فان أفضل ردود الافعال وأكثرها فعالية على ديماجوجيتهم الاجتماعية هو رفع مستوى وعى الجماهير ٠ وتستند أيديولوجية الطبقة العاملة ، بالطبع ، على فهم حقيقى علمى للعالم ، ولآفاق تطوره ، ولكن المشكلة هى أن الحقائق الاجتماعية لا يراها كل امرىء ولذلك فليس بكاف بالنسبة لشخص ما أن يمد يده ليحصل على اجابات لكل الاسئلة ٠ والحقائق الاجتماعية يجب أن تمهد الطريق لنفسها فى صراع طبقى مرير ، لانها تكسب الاعتراف ليس فقط باجتثاث الجهل وتحسين تعليم الشعب ، وانما كذلك بطريقة أكثر مشقة للقضاء على الاكاذيب التى ينشرها عدو طبقى قوى ٠

وليست لدينا أى نية ، بالطبع ، فى منافسة أعداء الشيوعية فى مجال الحرب النفسيه ، وفى التلاعب بالوعي والسلوك الجماهيرى • ومع ذلك فلكى نعلم الجماهير سياسيا وأيديولوجيا ، ولكشف زيف الاكاذيب التى لا حصر لها لاعداء الشيوعية ، من المهم للغاية الترويج لمنجزات الاتحاد السوفييتى والاشتراكية القائمه ، وعرض الحقائق عن اقتصادها وثقافتها ، واعطاء الناس فهما لمبادىء سياستها الداخلية والخارجية ولاعمالها • وبالنسبة لهذه الغايه من المهم للغاية أن نعطى للجماهير العاملة فى البلدان الرأسمالية معـرفة مباشرة أفضل للحياة فى البلدان الاشتراكية ، وأن نثرى خبرتهم التشخصية فى الانتحام بالواقع الاشتراكى •

وفى بلدان مثل الدنمرك نجد معاداة السوفييت شامله ، تتغلغل الى كافه مجالات حياة المجتمع ، وتصاحب الناس فى كل حياتهم ، تقريبا من مولدهم حتى مماتهم • وهذا بالطبع مصدر قوة ليسـت بالصـغيرة بالنسـبة لايديولوجية معاداة الشيوعيه ــ وفى هذا الوضع فان أى كلام جديد معادى للسوفييت يجد قبولا لدى كثير من الناس كأمر مسلم به ، وكشىء معتـاد لا يتطلب نفسيرا او دليلا خاصا • ومع ذلك ، فان هذا « الشمول »فى معاداة السوفييت هو مصدر ضعفها فكثير من النـاس يرون ان أقـوال معـاداة السوفييت لا تعمد للنقاش فى تفاصيلها ولذلك فانهم يبدأون فى الشك فى هذه الايديولوجية فى مجموعها • وكنتيجة لذلك ، فعندما تطالب الصـحافة البرجوازية الدنمركيه بحفلات موسيقية لشوستاكوفيتش كخليفة لتمثيليات معادية للسوفييت ، فان نجاحها يكون كبيرا بقدر نجـاحها عنـدما حثت رياضيا على مقاطعة الالعاب الاوليمبية فى موسكو • وفى هـذا الاطار قد يكون من المناسب أن نتذكر كلمات أبراهام لنكولن أنك تستطيع أن تخدع بعض الناس لكل الوقت ، وكل الناس لبعض الوقت ، ولكنك لا تستطيع أن تخدع كل الناس لكل الوقت •

والنضال الايديولوجى القوى ضد معاداة الشيوعية ومعاداة السـوفييت لا يمكن حصره فى فضح عدم التماسك والطابع الافترائى لهجماتهم على نظرية الشيوعية العلمية وعلى الاشتراكية القائمة • فمن الضرورى أن نوضـح أن معاداة الشيوعية ومعاداة السوفييت هى أسلحة أكثر القوى رجعية ضد المثل العليا الانسانية والديموقراطية القديمة قدم العصور ، وضـد قيم البشرية الاجتماعية والمعنوية ، بما فى ذلك القيم الفعلية « للمدنية الغربية » ، والتى يدعى أعداء الشيوعيه زورا أنهم يدافعون عنها ضد « التهديد الاحمر » •

وأخيرا ، فان أحد المجالات الهامة للنضال ضد معاداة الشيوعية ومعـاداة السوفييت هو حشد كل القوى الديموقراطية والتقدمية وتنظيم ردع مثابر للرجعية ، والحقيقة العظيمة لعصرنا تتمثـل فى أنه رغم كل اختـلافات الشيوعيين مع الاشتراكيين ، فان الحركة الشيوعية وحركة الطبقة العـاملة

الدولية والاشتراكية القائمة هى حصن السلام والديموقراطية ، والتقدم الاجتماعى ٠

لقد سعى الحزب الشيوعى الدنمركى على الدوام الى وحدة العمل مع كافة قوى الامة وهو يتصرف باسم الطبقة العامله ، وسعى على الدوام الى تشكيل حركة عريضة موحدة دون أن يطلب اتفاقا مسبقا مع برنامجنا وقد أوضحت التجربة أن مثل هذه المطالب يمكنها فقط أن تعطل النضال وتسهم فى تكتيكات هؤلاء الاشتراكيين الديموقراطيين الذين يحطمون وحدة العمل مع القوى الديموقراطية لمصلحة الطبقة العاملة ٠ كما توضح التجربة أن القوى الاجتماعية المختلفه عندما تبدأ التعاون مع الشيوعيين نجد أنه من الاصعب أن تضع نفسها بصراحة مع معاداة الشيوعية ومعاداة السوفييت ٠ وهذا يعنى أنه كلما ازداد الشيوعيون نشاطا فى الحركات الشعبية دون أن يخفوا آراءهم ، كلما بقيت فرص أقل لذرائع أعدائهم الطبقيين ٠ ولهذا السبب فان حزبنا ، رغم أنه غير ممثل فى البرلمان ، يواصل عمله على نطاق واسع بين الشعب ، مؤيدا ومعززا من وحدة عملهم ضد سياسة الحكومة الاجتماعية الاقتصادية ومن اجل مواصلة توسيع الحركة النقابية ٠ اننا نرى فى هذه الجهود اسهاما هاما فى التغلب على ايديولوجية معاداة الشيوعية ٠

ان وحدة كافة القوى الديموقراطية والتقدمية ملحة اليوم على وجه الخصوص فى وجه اتجاه معاداة الشيوعية ومعاداة السوفييت لربط أشكالها وتوجهاتها المختلفة ، وكذلك لمحاولاتها المتصاعدة لتحطيم صفوف الناس المعارضين لمعاداة الشيوعية ٠ وقد أشارت مجلة قضايا السلم والاشتراكية ، ولها الحق فى ذلك ، الى أن الشروط التى لا غنى عنها لهزيمة معاداة الشيوعية ومعاداة السوفييت تتمثل فى عدم تجزئة النضال ضدها وفى موقف ثابت لا يعرف مهادنة ضد كافة مظاهر الايديولوجية والسياسة الامبريالية ٠

وجريا وراء النجاحات المؤقتة التى لا تعيش طويلا ، وتجاهل مبدأ أن النضال ضد معاداة الشيوعية ومعاداة السوفييت لا يعرف التجزئة كان على الدوام ضارا تماما بقضية التقدم ٠ ومن ناحية أخرى ، فان تعبئة جهود كافة الديموقراطيين فى هذا النضال هو محك أساس لنتيجته الظافرة ٠

●

التقدم التكنولوجي وأزمة الرأسمالية

بقلم : كن جيل

ان توسيع وتعميق فهمنا للطبيعة واستخدام هذه المعرفة ـ لتطوير قوى الانتاج وجعلها أكثر كفاءة هي عملية مستمرة متصاعدة ، تصحب تطور المدنية وتشكله . وفي بعض مراحل التاريخ تكتسب هذه العملية طابع انفجار في التقدم في علوم رئيسية ، وتبعا لذلك حدوث تغيرات أساسية في التكنولوجيا الصناعية والزراعية والمواصلات ، وغير ذلك . وهذا التقدم يحدث بشكل حتمي تأثيرا بعيد المدى في المجتمع والعلاقات الاجتماعية بأسرها .

وفى الماضى ، كان المثل النموذجى لهذا التقدم واثاره هو الثورة الصناعيه الاولى فى القرن الثامن عشر ، التى فعلت الكثير لاقامه الراسماليه باعتبارها نظاما اجتماعيا واقتصاديا عالميا • وفى العقدين الماضيين او العقود الثلاثة الماضيه من الزمن ، شهدنا تقدما آخر •

وحجم التقدم العلمى فى النصف الاخير من القرن العشرين وعدم تشابهه بالتقدم العلمى والتكنولوجى التدريجى المعتاد ، كبير الى حد أننا اعتدنا التحدث عن هذه الظاهرة باعتبارها ثورة علمية وتكنولوجية • وهذه الخاصية لا تبررها الجوانب النوعية والكمية للتقدم العلمى وتأثيره على التكنولوجيا التطبيقية فحسب ، بل كذلك تأثير هذه العملية على الهيكل الاقتصادى والاجتماعى الشامل للمجتمع ، وفى نهاية الامر ، على مصائر الجنس البشرى • **ولكن لا صحة لاوجه الشبه السطحية بين الثورة العلمية والتكنولوجية الحديثة وبين الثورة الصناعية الاولى ، وهى أوجه الشبه المأثور عقدها عند الفكر اولدعاية البورجوازيين • فعن طريق أوجه الشبه هذه يحاول كبار المدافعين عن الاسلوب الرأسمالى للانتاج اقناع الشعب العامل بأن الثورة العلمية والتكنولوجية الراهنة ستؤدى ، مثل الثورة الصناعية الاولى ، الى استقرار النظام الاجتماعى والاقتصادى الرأسمالى ، وبذلك يكفل استمرار تقدمه** • وهم يهدفون الى اقناع العمال ذوىالياقات الزرقاء والبيضاء بأن الثورة العلمية والتكنولوجية يمكن أن تخلق ثروة اجتماعية ضخمة ، سيحصل منها الشعب العامل على نصيبه • وفى حالات كثيرة تبذل الجهود للغرض نفسه لكسر حلقة السببية بينسمات الثورة العلمية والتكنولوجية وبين طابع وعواقب الترشيد الرأسمالى •

ولهذا السبب لا يركز الباحثون الماركسيون على أوجه التشابه الظاهرية، بل على الفروق الاساسية فى طبيعة وخصائص الثورة العلمية والتكنولوجية والثورة الصناعية الاولى • وتقوم تحليلاتهم بصفة خاصة على أساس تقييم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التى حدثت فى العالم أثناء القرنين الذين يفصلان الثورتين فى العلم والتكنولوجيا •

وينبغى استخدام معايير مماثلة لدراسة مشكلات كثيرة للترشيد • وأحس أن هذا سيوسع المناقشة ويعمقها فى مجلة قضايا السلم والاشتراكية •وزيادة على ذلك ، فالامر الاكثر أهمية أن هذه هى الطريقة الوحيدة لوضع سياسةتحمى الشعب العامل فى البلدان الرأسمالية من الاثار القاسية للثورة العلمية والتكنولوجية ، وتسهيل نضاله ، فى الوقت نفسه ، فى سبيل الاشتراكية ، التى هى النظام الاجتماعى والاقتصادى الوحيد الذى يمكن أن يستخدم استخداما كاملا قدرات العلم لخير المجتمع بأكمله •

ان أساس الثورة العلمية والتكنولوجية الحديثة هو التقدم الذى تم احرازه فى الفيزياء النووية والكيمياء (وخاصة الكيمياء البترولية) وأخيرا

الالكترونيات (وأساسا الميكرو الكترونيات) • والتكنولوجيات التى نشأت على أساس هذا التقدم لها صفات مميزة • وسأذكر أهمها فحسب •

ـ في السابق ، لم يكن تطور التكنولوجيا يؤثر على السمات الاساسية لعملية الانتاج ، فكان يحدث احلالا كميا للآلات محل العمل اليدوى • واستخدام منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية الراهنة يؤدى الى وجود انسان آلي لا يؤدى وظائف العمليات فحسب ، بل كذلك الوظائف القيادية الابداعية • ومن الآثار الاجتماعية لهذا نشوء تناسب نوعي جديد بين عدد العمال بأيديهم وبين عدد العمال بأذهانهم ، والاتجاه الى أن يشكل هؤلاء الاخيرين أغلبية قوة العمل •

ـ وبينما كان العمال الذين يحل التقدم التكنولوجي محلهم في الماضى تستوعبهم صناعات « القسم الاول » ، ومن بينها الصناعات التى تصنع الآلات المتقدمة الحديثة ، فان الثورة العلمية والتكنولوجية تدمر وظائف أكثر مما تخلقه في هذا القسم ، ويتنبأ بأن هذا الاتجاه سيستمر •

ـ كانت الابتكارات الرئيسية في الماضى فى صناعة السلع ولا تأثير لها على بقية الاقتصاد • ولهذا السبب ، فان العمال الذين كانت تحل محلهم هذه الابتكارات ولا يستوعبهم « القسم الاول » ، ، كان من الممكن استيعابهم فى قطاعات الخدمات والمال والتوزيع التى تنمو نموا سريعا • **ولكن الثورة العلمية والتكنولوجية تقلل من قدرة هذه القطاعات بالتحديد على استيعاب العمال •**

ـ الآلات التى تقوم على أساس المنجزات العلمية والتكنولوجية تؤدى الى اضعاف المهارات على نطاق واسع ، فى حين أن القضاء على اشراف الانسان وخدماته يقوض المستقبل المرتقب للكثيرين من معظم العمال المهرة •

ولكن الامر الذى له أهمية أكبر من هذا كثيرا هو الحالة السياسية والاقتصادية والايديولوجية والأجتماعية للعالم ، وهى حالة تختلف اختلافا أساسيا عما كانت عليه في العهد البعيد للثورة الصناعية الاولى ، وحتى فى السنوات الاولى التى تلت الحرب العالمية الثانية •

لقد بشرت الثورة الصناعية الاولى بعهد الرأسمالية ، فقد أوجدت الظروف الملائمة لتوسع كبير فى الانتاج السلعى • ورغم أن تطور الرأسمالية لم يكن قط خاليا من الازمات ،فقد كانت فيه أوقات كساد وازدهار ،وارتفاع وانخفاض فقد كانت في مرحلتها الاولى مع ذلك تنبض بالشباب ، وكانت نظاما اجتماعيا يتطور فى ثقة •

وعلى نقيض هذا ، تأتى الثورة العلمية والتكنولوجية أثناء الازمة العامة للرأسمالية ، وتشاهد فى جميع البلدان الرأسمالية مظاهر أزمة تزداد حدة

وعمقا ، ولا يجرؤ سياسى أو اقتصادى بورجوازى جاد على التنبؤ بأن هـــذه المظاهر ستنتهى قريبا ٠

وعلى العكس من ذلك ، تدل كل التنبؤات الاقتصادية على ازدياد عمق الازمة فى المستقبل البعيد ٠

وفى هذا الوضع يعزى الصراع فى سبيل الاسواق الاحتكارات على استخدام الآلات والتكنولوجيا الحديثة فى صناعات تشتد فيها المنافسة ٠ ولكنها عندما تجد ، من الناحية الاخرى ، صعوبات فى تسويق منتجات تكنـــولوجيتها الراهنة « التى عفى عليها الزمن » ، يطاردها شبح الخوف من أن الاســتخدام الكامل لقدرات الثورة العلمية والتكنولوجية لن يؤدى ، بسبب الفائض الحالى للقدرات الانتاجية ، الا الى تفاقم الازمة وازدياد عمقها ٠ **وهكذا أصبحت علاقات الانتاج الرأسمالية الان ، بعكس فترة الثورة الصناعية الاولى ، قيدا على التقدم العلمى والتكنولوجى ، ومعرقلا لتطور قوى الانتاج ٠**

وزيادة على ذلك ، يجب أن يوضع فى الاعتبار ترتيب القوى الطبقية عـــلى نطاق العالم وفى كل بلد رأسمالى متقدم صناعيا ٠ وفى أثناء الثورة الصناعية الاولى لم تكن الطبقة العاملة منظمة ٠ وكان معظم قوة العمل يأتى من الارض الى المصانع ٠ ولم تكن النقابات قد نشأت ، أو كانت قد وجدت حديثا ، كما هــو الحال فى بريطانيا ، وكانت ضعيفة ٠ وكان الرأسماليون أحرارا فى استغلال كل ابتكار بالوسيلة التى يرونها ملائمة ، دون أن تزعجهم آثاره على العمال ٠

وليس هذا هو الحال اليوم ٠ **لقد ولى العهد الذى كان يمكن أن يتجاهــل رجال الصناعة فيه تأثير ترشيد التكنولوجيا واعادة بناء هيكل الانتـــاج على الاحوال الاجتماعية والاقتصادية للطبقة العاملة ٠ لقد أنشأت الطبقة العـاملة اليوم فى جميع البلدان الرأسمالية المتقدمة منظمات قوية للنضال الطبقى ـ هى النقابات التى أصبحت من الناحية الاقتصادية ،ان لم يكن من الناحية السياسية فى كل مكان ، أكثر نضجا ونضالية ٠** وفى هذا الصدد يقوم عاملان على الاقل بدور هام ٠

الاول ، التقسيم الجديد للعمل ، مع تشتيت انتاج أى سلعة فى عـــدد من المصانع ، التى كثيرا ما تقع فى بلدان مختلفة ، وهذا يمكن العمال فى أى من هذه المصانع عندما يضربون مع استخدام الحد الادنى للمـــوارد النقابية ، من وقف الانتاج فى شبكة المصانع بأسرها ، وتكبيد أصحابها خسائر جسـيمة ٠ وهذا يقوى كثيرا قوة المساومة عند العمال ، ويعزز أهمية تضامنهم العالمى ٠

العامل الثانى هو أن النمو العددى المطلق والنسبى الذى سبق ذكره للعمال ذوى الياقات البيضاء (الفنيين والمهندسين والعلماء) يغير تغييرا جذريا أحوالهم الاجتماعية والسياسية ونظرتهم ٠ ومرتبات العمال ذوى الياقات البيضـــاء

تستهلك اليوم جانبا كبيرا من تكاليف العمل · ولكن بسبب أنهم ظلوا غير منظمين حتى عهد قريب ، فان معدل نمو مرتباتهم ظل متخلفا عن معدل مرتبات مئات كثيرة من العمال المهرة ، الذين حققوا تحسنا فى أحوالهم عن طريق نضال لا يلين · **ويستيقظ الوعى الطبقى للعمال ذوى الياقات البيضاء تحت تأثير ازدياد الاستغلال الرأسمالى · وقد بدءوا يشعرون أنهم جزء من الطبقة العاملة ، فهم يرفضون اطاعة سادتهم فى خنوع ، وقد اتخذوا موقفا نضاليا من الكفاح الاجتماعى** · وتوجد حقيقة تثبت هذا هى أنه فى أثناء السنوات العشر الماضية ، ازداد عدد أعضاء النقابات البريطانية بنسبة ٢٥ فى المائة ، وتعود هذه الزيادة بقدر كبير الى شيوع الطابع النقابى فى هذه الفئة من العمال ·

وتختلف الثورة العلمية والتكنولوجية الحديثة عن الثورة الصناعية فى القرن الثامن عشر ، التى أدى تطورها السريع نهب المستعمرات والبلدان التابعة و « مذهب التجارة الحرة » الهادف الى منح الرأسمالية الناشئة سوقا عالمية كبيرة ، فى أنها جاءت فى عالم أنهى التفوق الذى لانزاع فيه للرأسمالية **وكانت ثورة أكتوبر ١٩١٧ حدا فاصلا فى تاريخ العالم : فقد ظهر النظام الاشتراكى العالمى ، وهو يزداد قوة ، وعملية استئصال الاستعمار تقترب من نهايتها** ·

لقد فقد ملوك الرأسمالية سيطرتهم السابقة التى لم يكن ينازعهم فيها أحد على أسواق العالم · ولم تعد المواد الخام الرخيصة تتدفق بحرية كما كان الحال فى الماضى · ورغم ان البلدان النامية لم تضمن بعد شروطا عادلة للتجارة مع الدول الرأسمالية الصناعية ، ووضع منظمة البلدان المصدرة للبترول دليل على أن المستعمرات السابقة تتعلم حماية حقوقها ·

ومع احتمال استمرار السوق الرأسمالية فى الانكماش ، فان الاحتكارات الرأسمالية العملاقة تزيد من عنف الصراع التنافسى بينها ، وتلجأ الى اجراءات الحماية · ويؤدى هذا الى تشويهات فى استخدام القدرات التى أتاحتها للانسانية الثورة العلمية والتكنولوجية ·

وتوجد سمة بارزة أخرى جديرة بالذكر · فقد كانت ابتكارات الثورة الصناعية الاولى استجابة لاحتياجات الاقتصاد · ويمكن القول انها صممت خاصة لتلائم الاقتصاد ·

والامر ليس كذلك اليوم · فمعظم المبتكرات التى تطبق تكون جزءا من مصروفات الامبريالية على سباق التسلح ، ويمكن وصفها بأنها منتجات ثانوية · ولو أن الموارد التى تخصص لصناعة الاسلحة وجهت الى احتياجات الصناعات الضرورية والمفيدة من الناحية الاجتماعية ،لكان طابع وترشيد المبتكرات العلمية والتكنولوجية متفقا مع احتياجات المجتمع الاجتماعية والاقتصادية ، ومؤديا الى تطور معقول متوازن للاقتصاد ·

ان العلم والتكنولوجيا قد أصبحا بتبات عاملان اجتماعيان اساسيان يحددان تطور المجتمع الرأسمالي٠وقد أشار هاينز جانج ومايكل جرابر بحق في مقاليتهما الى ان هذا يشاهد بشكل جلى فى تزعزع الهياكل الكمية والكيفية للعمل ،مما يهدد استقرار الاقتصاد بأكلمه ٠ والحقائق المتعلقة بهذا معروفة ٠ ورغم هذا، أود أن أخص بالذكر مجال الاتصالات السلكية واللاسلكية،التى يستبدل فيها بالمكونات الكهربائية الآلية أجهزة الكترونية بمعدل شديد السرعة ٠ ويقدر ك ٠ ج : كوبرفيلد ، مدير شركة ستاندارد للتليفونات والكابلات (وهى فرع لشركة التليفونات والتلغرافات الدولية) أن هذا سيؤدى بحلول سنة ١٩٨٥ الى الاستغناء عن ٩٦ فى المائة من قوة العمل الموجودة الآن فى صناعة نظم الاتصالات بعيدة المدى ٠

وهذا التنبؤ تؤكده خبرة شركة عملاقة أخرى ، هى الشركة الامريكية للتليفون والتلغراف ، التى تدير معظم نظم التليفونات فى أمريكا الشمالية ٠ فقد هبطت قوة العمل فيها من ٣٩٢٠٠ فى سنة ١٩٧٠ الى ١٩٠٠٠ فى ١٩٧٦، وسينخفض العدد الى حوالى ١٧٠٠٠ فى سنة ١٩٨٠ ٠ وتقدر الشركة أنه يتجه للاتصالات الالكترونية المتطورة ،بدلا من الاتصالات الكهربائية الالية ،فسيوجد انخفاض مقداره ٧٥ فى المائة فى الحاجة الى عمال الاصلاحات والتركيبات ٠

وتميل بعض الاوساط الى اعتبار أن آثار تطبيق المبتكرات العلمية والتكنولوجية فى الصناعة قاصرة على خطر البطالة الجماعية ٠ وينبغى التأكيد بقوة على أن هذا تبسيطا غير عادى لهذه القضية الاساسية٠ **فالتقدم التكنولوجى يثير القضية التالية بالغة الاهمية : الانتاج لاى شىء ؟ ويبرز فى المقدمة التناقض الاساسى لعلاقات الانتاج الرأسمالية ، وهو التناقض بين الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وبين الطابع الاجتماعى للانتاج ٠**

وزيادة الانتاج ، وانخفاض الاستهلاك ، وفائض القيمة المرتفع الذى لا يحققه الاستثمار أو الطلب ، أمور تظل حاسمة بالنسبة للرأسمالية المعاصرة ٠ ويزيد حدة هذه المشكلات تأثير الثورة العلمية والتكنولوجية ، لان هذه الثورة تتطور فى ظروف الشيوع السريع للاحتكار ، وازدياد تأثير الشركات فوق القومية ، ونمو رأسمالية الدولة الاحتكارية ٠ والمعدل المرتفع للثورة العلمية والتكنولوجية (١) يضع الرأسمالية وجها لوجه مع التناقضات الجديدة ، التى أبرزت تعقيداتها فى السنوات الاخيرة ، الى جانب أمور أخرى ، آثار النظم السليكونية الدقيقة ، التى أدى اختراعها الى ثورة تكنولوجية فى صناعات كثيرة ٠

وأود أن أوجه الانظار الى سمة أخرى للطور الراهن من أطوار الابتكار

---

(١) يرى الباحثون ان كمية المعرفة العلمية تتضاعف فى عصرنا مرة كل ١٠ ــ ١٥ عاما ٠

التكنولوجي • فهو مرتبط بازدياد معدل الارباح ، بسبب الانخفاض الشديد في تكلفة المعدات (١)•وعلى سبيل المثال ،لم تكن الاوتومية فى الماضى القريب نسبيا تبرر التكلفة المبدئية لرأس المال الا اذا وصل الانتاج الى ٢٥٠٠٠٠ وحدة سنويا • ولكن مع التقدم المتزايد فى العقول الالكترونية ، بمساعدة الاجهزة الصغيرة لاعداد المعلومات التى يزداد ثمنها انخفاضا ، أصبحت تكلفة رأس المال تقل بقدر كبير ، بحيث صارت الاوتومية مربحة عندما يصل الانتاج الى ٥٠٠٠ وحدة سنويا • وهذا هام بصفة خاصة لبلدان مثل المملكة المتحدة ، حيث ثبت أن الاشكال المبكرة للاوتومية غير عملية بسبب هندسة الانتاج القائمة على الكميات الصغيرة •

والتطور التكنولوجي السريع لم يثبت أن أصحاب الاعمال الرأسماليين ينوون زيادة مقدار السعادة الانسانية • وليس السبب فى هذا ان الهدف الرئيسى للثورة العلمية والتكنولوجية ،من وجهة نظر الاحتكارات ، هو الوصول الى الحد الاقصى لمعدل الارباح فحسب • ففى حالات كثيرة ، تفرض المبتكرات التكنولوجية احتياجات المجمعات العسكرية الصناعية فى الدول الامبريالية • وقولها هو القول الفصل فى توزيع الموارد ، ولا يزال أثر هذا القول الفصل يشوه اقتصاد البلدان المتطورة •

ومن الطبيعى أن الانفاق على الابحاث والتطوير للاغراض العسكرية يمكن أن يكون له أثر ايجابى مؤقت ، وذلك بايجاد وظائف جديدة ، ولكن السؤال الذى ينبغى الوصول الى اجابة له هو ماذا كانت هذه النفقات تقدم أى فائدة للتطور الاقتصادى فى المدى الطويل ، بما فى ذلك المحافظة على الوظائف وخبرة البلدان الرأسمالية الصناعية ، ومن بينها المملكة المتحدة ، تجيب على هذا السؤال بالنفى •

لقد ولدت الثورة العلمية والتكنولوجية اتجاهات متصارعة فى العالم الرأسمالى ، وخاصة فى البلدان المتقدمة صناعيا . ومن الخطأ ، على سبيل المثال ، تجاهل الدور الايجابى المعين الذى تقوم به هذه الثورة فى تطوير الصناعة الرأسمالية ، ولا يستطيع المرء أن ينكر أن التغيرات الهيكلية فى النظام الرأسمالى ، وبصفة محددة الدور المسيطر الذى تقوم به الشركات فوق القومية فى اقتصاد العالم الرأسمالى ، قد أوجدت أشكالا تنظيمية قادرة من الناحية الموضوعية على الاسراع بالثورة العلمية والتكنولوجية وضمان استخدام منجزاتها . وقد بدأت الموارد المادية وموارد العمل تخصص لاحتياجات التقدم العلمى والتكنولوجى . وزيادة على ذلك ، وجدت

---

(١) ثمن الدائرة الكاملة اليوم يساوى ١ / ١٠٠٠٠ من ثمنها منذ ١٥ سنة • والحاسب الالكترونى الصغير الحديث أسرع عشرين مرة من الجيل الاول للحاسبات الالكترونية ، ويستهلك من الكهرباء ما يستهلكه مصباح كهربائى صغير ، ويتكلف ١/ ١٠٠٠٠ مما كان يتكلفه الحاسب السابق عليه •

امكانية استخدام هذه المواد لتحقيق تقسيم رشيد للعمل ، فتنتج بعض السلع أو مكونات السلع حيثما يكون هذا أكثر كفاءة واقتصادا ، فيما يتعلق بموقع الموارد المادية وخصائص البنية الاساسية .

ولكن ليس هذا الا جانبا واحدا ، هو الاقل أهمية ، للرأسمالية فى مرحلة تطورها الراهنة . وفى النظام الاقتصادى الرأسمالى ، توجد اتجاهات مضادة قوية تعيق الاستخدام الرشيد لقدرات الثورة العلمية والتكنولوجية وجوهر القضية هو أن العلم والتكنولوجيا لايمكن أن يزدهرا حقا الا فى مجتمع أقيم هيكله بما يتلاءم مع احتياجات المرحلة الاعلى الجديدة لتطور الانتاج الاجتماعى ولكن من العبث البحث عن هذا فى مجتمع تستحوذ فيه على ثمار العمل مجموعة صغيرة من الناس يتضاءل عددها على الدوام .

ويوجد عامل آخر يفاقم تناقضات الرأسمالية ، بالاضافة الى عرقلة قدرات التقدم العلمى والتكنولوجى فى ظل الرأسمالية . هذا العامل هو اتساع الهوة بين النمو اللامحدود للقدرة الانتاجية وبين الانخفاض الكبير فى قوة العمل التى تحتاج اليها عملية الانتاج . وبذلك يحد التقدم التكنيكى من الطلب على الانتاج الضخم ، وهذا يؤدى بشكل حتمى الى خفض معدل ربح النشاط الاقتصادى ، ويقوض هذه القوة الدافعة الرئيسية لاسلوب الانتاج الرأسمالى .

ومن الاثار الرئيسية لازدياد التناقضات الاجتماعية والاقتصادية ، التى يزداد استفحالها بمرور الزمن ، نمو مقاومة الطبقة العاملة لاستخدام قدرات الثورة العلمية والتكنولوجية بطرق تمنع الشعب العامل من أن يكون له نصيب من مزايا التكنولوجيا الجديدة ، ولا تضمن ايجاد اعمال للناس ، ولا تحسن مستويات المعيشة .

وينضم الى هذه المقاومة ، كما تبين خبرة نقابتى ، عدد متزايد من العمال ذوى الياقات البيضاء .

وتعمد وسائل الاعلام البورجوازية أحيانا الى تصوير مقاومة الاساليب الرأسمالية للترشيد على أنها « لودية » ، أى مقاومة متعصبة للتقدم التكنولوجى ، وهذا غير صحيح على الاطلاق .

فالشعب العامل لم يعترض ولن يعترض على التكنولوجيا الجديدة لانها جديدة ، ومايريده هو حماية مصالحه ، وضمان أنه سيستفيد من الثورة العلمية والتكنولوجية الان وفى المستقبل . ان الاحتكارات ، وليس الشعب العامل ، هى التى تقيم العراقيل برفضها تحقيق المطالب العادلة للذين تستغلهم .

ومن الطبيعى اننا ، نحن الشيوعيون ، لا نتعلق بالاوهام . فنحن ندرك ان الحل النهائى لايمكن أن يكون غير مجتمع تخطط فيه قوى الانتاج وتستخدم لضمان الاشباع الكامل للاحتياجات المادية والثقافية المتزايدة للناس .

وهذا يقوى الحاجة الى اجراء تحولات اشتراكية اساسية ، مع تمسك

الشعب وادارته لجميع الموارد . هذه التحولات تسمح بنشوء أشكال جديدة لتنظيم وادارة الانتاج والتوزيع تتفق مع الطابع الجديد لقوى الانتاج فتكفل درجة عالية من الادارة الذاتية ، وتقيم التخطيط والتنسيق على نطاق قومى .

وزيادة على ذلك ، فان استراتيجية الشيوعيين فى بلد راسمالى مثل بلدنا يجب ، بالاضافة الى اتاحة فرص جديدة للتقدم نحو تحول المجتمع تحولا اشتراكيا ثوريا ، أن تتضمن حماية الناس من الاخطار العاجلة المرتبطة باقامة تكنولوجيا جديدة . وهذا يعنى ، على سبيل المثال ، اشتراك العمال ، عن طريق منظماتهم فى المصانع والاحياء وعلى المستوى القومى فى صنع القرارات الخاصة بالتغيرات التى تدخل على عملية الانتاج ، وفى الوقت الذى تحدث فيه هذه التغيرات ، تكون القضية الاساسية هى ضمان الوظائف اما فى مصنع معين ، أو بتوفير عمل آخر فى مؤسسة أو صناعة أخرى ، بأجور وظروف عمل مماثلة ، مع وجود نظام لاعادة التدريب على مهارات جديدة .

ويجب أن تتاح للشعب العامل كذلك فرصة الاستفادة من النمو الضخم فى انتاجية العمل ، التى يترتب عليها ازدياد انتاج الثروة . وهذا يمكن أن يتحقق ، بصفة خاصة ، بتقصير يوم وأسبوع العمل ، واطالة العطلات السنوية ، وخفض سن التقاعد .

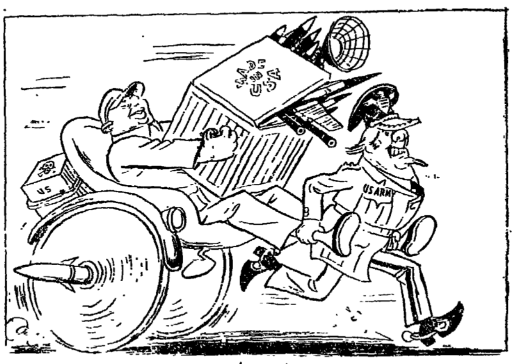
والتكنولوجيا الجديدة يجب أن تستخدم لتحسين نوعية الحياة ، والقضاء على العمل الشاق الذى يستهلك العمال ، ووقف تبديد الموارد النادرة ، وتوفر حماية افضل للبيئة . ويجب أن تستخدم لحل مشكلات عدم وجود مساكن أو السكنى فى البيوت المتداعية فى أحياء قذرة ، ولاقامة مستشفيات ومدارس تتفق مع الاحتياجات الحديثة .

ولما كانت الطبقة الرأسمالية تسعى الى الاستحواذ على المزيد والمزيد من الارباح من المبتكرات العلمية والتكنولوجية ، وهو أمر تسهله سيطرة الشركات فوق القومية التى لا تعترف بالحدود القومية ، **فان أهمية التضامن العالمى للطبقة العاملة تتزايد . ويمكن ايجاد قوة دافعة قوية لهذا بانهاء الانقسام فى الحركة النقابية العالمية ، وجعلها قادرة على الاستجابة السريعة الفعالة لاعمال فصيلة أو أخرى من فصائل الطبقة العاملة ، بتنظيم المساندة لها على الصعيد العالمى .**

وهكذا فان الثورة العلمية والتكنولوجية وشكلها العملى – أى ترشيد العمليات التكنولوجية – تزيد من تفاقم وعمق ازمة الرأسمالية ، وتطرح امام الطبقة العاملة وغيرها من الشعب العامل بأسره ، ومنظماتها السياسية ونقاباتها قضايا ذات أبعاد جديدة . **والاجابة عن هذه القضايا لا يمكن أن توجد الا فى العمل المشترك لجميع القوى التقدمية التى يوحدها تحالف ديمقراطى واسع معاد للاحتكار ، هدفه الرئيسى هو استغلال منجزات العبقرية الانسانية لخدمة الشعب العامل .**

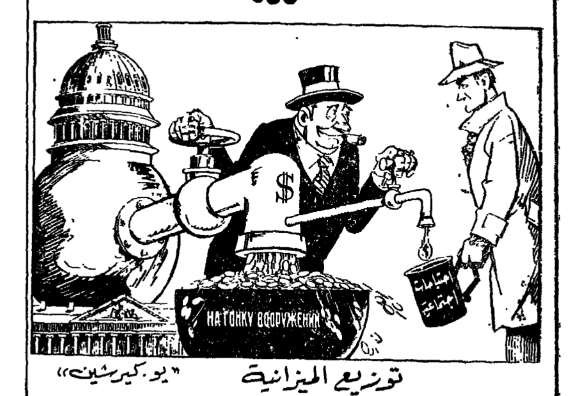
●

● كاريكاتير ●



سباق التسلح — "ن. ليوفو سكوفو"

●●●



توزيع الميزانية — "يو. كيرشين"

المساواة.. في ظل الاشتراكية

هذه بداية سلسلة من المنشورات التى أعدتهـا معاهـد الابحاث فى بلدان مختلفة وتشمل تحليـلا لاهم الاتجـاهات الاجتماعية فى أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات ، وتقدم تنؤات علمية كذلك بالتطورات فى المستقبل • وأولها تحليل قام به معهد العلوم الاجتماعية التابع للجنة المركزية لحـزب العمال الاشتراكى المجرى حيث نظم تبادل للآراء حول مشكلة المساواة فى ظل الاشتراكية ، وحضر المائدة المستديرة شاندور لاكوس مدير المعهد وعضو اللجنة المركزية لحزب العمـال الاشتراكى المجرى ، ومجموعة من الاعضاء القيـاديين : تيبر هالى ، بيتر شميدت ، فيرتيك جاسـو ، وتوماس كولوس • واليكم فيما يلى ملخصا لما قالوه •

لم تتخذ البشرية طلاقا موقف اللامبالاة من قضية المســاواة الاجتماعيه ، اذ تتركز فيها المصالح والمثل العليا للطبقات ، والفئات ، والمجمـوعات في المجتمع ، وتكشف عن التناقضات الاجتماعية ، ولهذا السبب فان العبد حينما كان يسدد رأس الرمح الى سيده والبرجوازى حينما كان يدافع عن حقـوق الطبقة الثالثة ، والبروليتارى حينما كان يقيم المتاريس ، فانهم جميعا كانوا يعطون معنى مختلفا لمطلب المساواة • والشعار ، الذى كان فى البداية حسب ما يقول انجلز « الاستجابة العفوية لانعدام المساواة الاجتماعية الصارخة ، وللتناقض بين الغنى والفقر ، بين السادة الاقطاعيين وأقنانهم ، وبين المتخمين والجياع •• قد تطور الى المطلب البرجوازى بالغاء الامتيازات الطبقية»(١) وأصبح فيما بعد يعبر عن تصميم البروليتاريا على الغاء الطبقات نهائيا •

وفى مراحل مختلفة من نضال البروليتاريا الثورى ضد الاستقلال والقهر ومن أجل اقامة نظام اجتماعى اشتراكى ، فضــح ماركس وانجلز ولينين محاولات الفلاسفة والسياسيين البرجوازيين أن ينسبوا الى الشيوعية العلمية الرأى البدائى القائل بأن المساواة تعنى قدرات وقوى روحية وبدنية متماثلة بين البشر • وعندما سخر انجلز من المغالطات المدرسية التى أطلقها دوهرنج أوضح أن « المحتوى الحقيقى لمطلب البروليتاريا للمساواة هو المطالبة بالغاء الطبقات » (٢) وقد طور هذه الفكرة لينين فيما بعد فى مجادلاته مع الليبرالية الروسية عندما قال • « ان الاشتراكيين الديموقراطيين يعنون بالمســاواة الاجتماعية المساواة فى الحقوق ، وبالمساواة الاقتصادية •• فانهم يعنــون الغاء الطبقات • وفيما يتعلق بأقرار المساواة الانسانية بمعنى المساواة فى القوة والقدرات (البدنية والعقلية) ، فان الاشتراكيين لا ينكرون حتى « فى هذه الامور » • (المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٠ ، ص ١٤٥) •

والرأى الماركسى ، الذى برهنت عليه الممارسة بشكل كامل ، هو أنه فى ظل الاشتراكية تزول العداوات الاجتماعية ، لكن الطبقـــات والاقســام والمجموعات الصديقة تستمر فى الوجود وتختلف ظروفها ومصالحها بدرجة ملحوظة عن بعضها البعض ، والمساواة الكاملة لا يمكن التوصـــل اليها فى مثل هذا المجتمع : وهذا مثل أعلى يمكن تحقيقه فحسب فى الطور الاعلى من التشكيل الشيوعى • وفى فترة بناء مجتمع اشتراكى متطور ، فان مسألة آفاق التقدم ، وأشكال وأساليب تعزيز المساواة الاجتماعية بالتدريج يمثل الى أن تصبح مسألة آنية نظريا وسياسيا وتكتسب ابعادها أكثر تميزا •

---

(١) فردريك انجلز ، ضد دوهرنج ، دار النشر للغات الاجنبية ، موسكو ١٩٥٩ ، ص ١٤٧ •

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ •

ما هي المساواة الاجتماعية ؟

لم ترحب الاشتراكية العلمية على الاطلاق بيوتوبيات أو أوهام المساواة القائلة بأن الطريق لنتغلب على انعدام المساواة القائم يمر كما يزعمون بتوزيع متساوى للمواد والسلع الثقافية ، ونحن لا نسعى بأية حال ، الى التوصل الى دولة مجردة مطلقة التجانس دون أى فروق مهما كانت ، ان العمل هو معيار المساواة فى ظل الاشتراكية ، لانه يحدد مكانة الفرد فى المجتمع ، والنصيب الذى يتلقاه من الناتج الاجتماعى ، ووضعه الاجتماعى بشكل عام • وهذا المفهوم يجعل من الممكن الحديث عن درجة المساواة التى تم التوصل اليها ، رغم حقيقة أن الفروق الاجتماعية ومظاهر انعدام المساواة تبقى فى كل مجال تقريبا من مجالات الحياة الاجتماعية •

ان مقولة « المساواة الاجتماعية » لها محتوى معقد ، أى ، انها تتضمن خصائص الوضع السياسى والاقتصادى والثقافى للانسان ، والمجموعات ، والاقسام ، والطبقات ، وعناصرها لا تتشكل فى نفس الوقت • ومن الناحية التاريخيه ، أقرت المساواة لاول مرة فى ظل الاشتراكية فى المجال السياسى المساواة فى الحقوق ، أى ، المساواة العامة للطبقات من وجهة نظر حقها فى السلطة وممارستها ، وفى المشاركة فى الشئون الاجتماعية (التى لاتتناقض مع الدور القيادى للطبقة العاملة) ، التى يعقبها تشكيل المساواة فى الشروط الاولية اللازمة لتطور الفرد والتوصل التدريجى الى مستوى متساو للتعليم • ولكن انعدام المساواة فى توزيع السلع المادية والفروق فى الاوضاع فى الانتاج الاجتماعى ستستمر لوقت أطول بكثير ، ولكن حتى عناصر المساواة الفردية هذه ، لا تظهر بدورها فجاة فى شكل كامل • والعملية هنا ليست أكثر من عملية تدريجية ، ولا تسير دائما فى طريق مستقيم ، والغاء فروق ومظاهر انعدام المساواة قد تسير جنبا الى جنب مع التعزيز المؤقت لغيرها ، وهو السبب فى أن أى منها لا يبقى دون تغيير •

وينبغى التأكيد على أنه رغم أن الفوارق الاجتماعية وبعض أنواع انعدام المساواة تبقى فى ظل الاشتراكية ، فان المجتمع يحقق قفزة هائلة نحو الامام بالمقارنة مع الرأسمالية ، نحو التوصل الى المساواة ، بعد أن أزال العداوات الطبقية ، وأقام نظاما سياسيا ديموقراطيا حقا ، وطبق مبدأ الدفع وفقا للعمل وقضى على الامتيازات فى التعليم ، الخ •

والمساواة الاجتماعية ، كانعدام المساواة ، تتضمن خصائص معينة عديدة والمجتمع بعيد عن أن يتخذ موقف اللامبالاة من الارتباطات الملموسة للخصائص السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها المواتية وغير المواتية التى تشكل البيئة الاجتماعية للافراد ، والفئات ، والطبقات ، ومن وجهة نظر آفاق تطور نظامنا وأخلاقياته من غير المحتمل ظهور أقطاب فى المجتمع حيث تتجمع كافة العناصر الايجابية عند قطب ما وكافة العناصر السلبية عند القطب الآخر •

ونحن نؤيد بالتأكيد الحوافز الاقتصادية وفى نفس الوقت توفير المزايا الثقافيه وغيرها لهؤلاء الذين يعملون جيدا من أجل خير المجتمع • وما نعارضه هو نقل الاختلافات الناشئه على أساس توزيع السلع الماديه الى مجالات الحياة الاجتماعية الاخرى ، وعلى هذا الاساس تكوين نظام هرمى من الخصائص الخاصة بالوضع ، الاجتماعى • وفى كلمات أخرى ، فاننا ننكر أى تأثير مادى يمكن أن يتحكم فى المزايا الاخرى ، لان كل الذين يشاركون فى النشاط النافع فى ظل الاشتراكية متساوون فى وضعهم الاجتماعى •

وتركيز العوامل السلبية بين بعض الاقسام والمجموعات أمر غير مرغوب فيه ، رغم انه ما يزال يحدث لاسباب موضوعية ، وأحد الامثلة على ذلك يقدمها العمال غير المهرة الذين يكون لديهم مستوى منخفض نسبيا من الدخل والتعليم ، والمهارة ، الخ ، فكيف يمكن ازالة مثل هذا التركيز ؟ هل يتم ذلك من خلال تغيير متعمد فى الصلة بين بعض السمات السلبية ، بينما يظل القسم الاجتماعى الذى يتميز بهذه السمات ، أو يندثر ؟ هناك اختلافات فى الآراء حول هذه النقطة • ان ممارستنا تعزز الاحتمال الاخير • (١)

ورغم الادعاءات الماكرة للصحافة البرجوازية التى تسعى الى تضخيم عدم المساواة القائم فى ظل الاشتراكية الى مستوى العداوات الطبقية ،وفى المجر كما فى غيرها من البلدان الشقيقة كان هناك اتجاه سائد نحو مساواة اجتماعية أكبر من خلال كل تاريخ بناء المجتمع الجديد • ولكننا لا نغمض عيوننا على حقيقة أن بعض جوانب عدم المساواة ما تزال تولد بشكل مختلف وأنه فى مجرى تطور النظام الجديد قد تنشأ أشكال جديدة من الفوارق وانعدام المساواة •

وتختلف الانواع المتبقية من انعدام المساواة عن بعضها البعض بطبيعتها، كما تختلف كذلك سياسة الحزب حيالها • وغنى عن القول ، أن انعدام المساواة الناشىء من وجود شكلين من الملكية الاشتراكية ، مثلا ، لا يمكن موضوعيا ازالته عن طريق الرغبة فى ذلك • وسيتضاءل مع اقتراب ملكية كل الشعب والملكية التعاونية من بعضها البعض ، وسيختفى بعد أن يتحدا فى شكل واحد من الملكية الاشتراكية نتيجة تطور تاريخى طويل • وبعض الاشكال الجوهرية لانعدام المساواة يحددها تقسيم العمل الاجتماعى • فالعلاقات بين مديرى الانتاج وبين العمال العاديين تنتمى الى العوامل الطويلة المدى التى تعمل فى المجتمع الاشتراكى • والعلم يدرس ذلك بهدف توجيه مجرى العمليات الاجتماعية ،ولكن مهمة القضاء على انعدام المساواة الاجتماعية التى حددها لن تبدأ طالما كانت ضرورية من الناحية الموضوعيه • وانعدام

---

(١) اوضحت دراسة اجتماعية اخيرة ان ٢٨ ـ ٣٠٪ من العمال فوق سن الثلاثين عاما كانوا من غير المهرة ، بينما نجد ٩٪ من غير المهرة فقط فى مجموعة الاعمار من ١٥ الى ٣٠ •

المساواة هذا يمكن تعويضه فقط فى الوقت الحاضر لدرجة ما من خلال رقابه ديموقراطية أكبر فى الانتاج ٠

وهناك نوع آخر من انعدام المساواة لا يرتبط بطابع العمل وانما بخصائص بنية الوعي ، والثقافة ، الخ ، التى تبقى طوال حياة عدة أجيال والتى تتوالد فى العائلة ٠ وبمعنى آخر ، فانها تضع الشباب فى ظـــروف مختلفة فى المرحلة الاولى من حياتهم ، وتهدف السياسة الاجتماعية والثقافية للاحزاب الشقيقة فى البلدان الاشتراكية الى توفير فرص أمام الجيل الصاعد ،ويبذل المجتمع كل مافى وسعه لكى يمنع البداية من أن تلعب الدور الحاسم طوال حياة الانسان ، ولكن يعود للفرد استخدام ارادته ، ومعتقداته ، والصناعة للاستفادة الى أقصى حد من هذه الفرص المتكافئة ٠

ولكن بالاضافة الى ما قيل ما تزال عوامل أخرى لا ترتبط مباشرة بطبيعة الاشتراكية (مثل الدخول البالغة الارتفاع والتى لا تتفق مع مدخلات عمل الانسان الفعلية وأهميتها الاجتمـــاعية) تعمل وتولد ٠ ونحن نســعى الى استئصالها أو الحد منها والى منع تلك العوامل من أن تحشر فى مجتمعنا ٠

ما هو أساس المساواة ؟

تشكل التغيرات فى البنية الطبقية الاجتماعية للمجتمع مع تطور الملكيـة الاجتماعية والتغير فى طابع العمل أساس التقدم نحو اقامة المساواة ٠ وهذه عملية موضوعية ، مستقلة عن وعي الانسان ، ولا يمكن وقفها أو الاسراع بها عن طريق تدخل القوى السياسية ٠

وفى أوائل الستينات ، أكمل وضع أسس الاشتراكية فى المجر ، وسويت أكثر الاختلافات حدة بين المدينة والريف ، وكان هناك نموا عدديا للطبقـــة العاملة ، وأساسا مع تدفق الناس من الريف ، وكان الفلاحون منظمين فى تعاونيات ، وتشكلت انتلجنسيا جديدة ، وتجددت تماما تقريبا فئة الموظفين، وزاد عدد الموظفين وتقلص حجم الاقسام الحضرية المتوســـطة ، ودلت اقامة السيطرة الكاملة للملكية الاشتراكية على القفزة التالية ، التى أعقبت الغـاء الطبقات الاستغلالية نحو التوصل الى المساواة السياسية الاجتماعية : الفوارق فى وضع الطبقات والفئات ، والمجموعات بالنسبة لوسائل الانتاج تحـولت الى فورق بين شكلين للملكية الاشتراكية ٠

وبعد وضع أسس الاشتراكية ، تختفى الحاجة الى تحويلات سريعة للبنية الاجتماعية ٠ وتتباطأ الحركة الاجتماعية ، ومن المهم بشكل خاص التأكيد على أن التغير فى استراتيجية التطور الاقتصادى ــ والانتقال الى نوع مكثف من اعادة الانتاج ــ يتطلب أن نخلق أشكالا جديدة من الادارة الاجتماعية يتمشى مع المهام الاكثر تعقيـــدا للمرحلة الحـاضرة ٠ وتبين الممارسة أن الميكانيزم

الاقتصادى الذى يستند الى الاستخدام الواسع للمنظمات الاقتصادية يساعد بوضوح أكبر فى تحقيق مصـــالح المجموعات الاجتماعية المختلفة ويؤدى الى تعزيزها الداخلى ·

ان تحليل العمليات الطبقية الاجتماعية فى البلدان الاشتراكية فى السنوات ١٠ ـ ١٥ الماضية يؤكد الاستنتاج القائل بأن البنية الجديدة تنشا كنتيجة للتفاعل بين اتجاهين زيادة تجانس المجتمع (مع زيادة تقارب الطبقـــات والاقسام القائمة مما يســاعد على التغلب على البنية القديمة) ، من ناحية وتباينه (الانقسامات داخل الطبقات) من ناحية أخرى ·

والعملية السابقة تجد تعبيرا عنها فى المحل الاول فى تقارب الطبقة العاملة والفلاحين · وفى نشأة تماثلات متزايدة فى الظروف الاجتمـــاعية للعمـــال والاشخاص الذين يؤدون عملا غير يدوى ، والانتشار الواســـع للعــائلات المختلطة · (١)

وعلى خلاف أفكارنا السابقة والمخططة لدرجة ما لم تنشا طبقة من الفلاحين، ذات بنية داخلية متماسكة تختلف اختلافا حادا عن الطبقة العاملة ، فى المجتمع الاشتراكى ـ وفى البلدان الاشتراكية ، يتضاءل حجم الفلاحين · ففى بداية السبعينات كان ٨٪ فقط من كافة الاشخاص العاملين فى المجر من الفلاحين بالمعنى الدقيق للكلمة · ومنذ ذلك الحين ، انخفضت النسبة بدركة أكبر · وتحولت التعاونيات الى وحدة اقتصادية كبيرة ، كما تنمو أموالها الموحدة ، وتستخدم على نطاق واسع أساليب الانتاج الصناعية ، وهكذا تستوى بالتدريج فوارقها من المؤسسات الصناعية التى تعتبر ملكا لكل الشعب · ان سيطرة الدولة ورقابتها على النشاط التعاونى ، من ناحية ، وتوسيع العمليات المستقلة من جانب مؤسسات الدولة ، من ناحية أخرى ، يتجه ، رغم الاختــــلاف فى عناصر النشاط الاقتصادى ، الى أن ينتج بالفعل علاقات متماثلة أو متشابهة للغاية من الانتاج فى قطاع الدولة والقطاع التعاونى على السواء · وبســـبب بناء الاساس المادى والتكنيكى للزراعة ، يعمل تقريبا حوالى نصف أعضـــاء التعاونيات الآن فى عمل صناعى أو ذهنى ، بدلا من العمل الفلاحى التقليدى (أى ، عمل يدوى غير متخصص يعتمد لدرجة كبيرة على الفصول) · وفى السبعينات كان هناك فى عديد من البلدان الاشتراكية نمو سريع فى نصيب العمال بين أفراد التعاونيات الزراعية ، وظهرت مجموعة عديدة من العمال الاجراء الذين يعملون فى التعاونيات دون أن يكونوا أعضاء فيها ·

وأحد الاشكال الاخرى المميزة الذى تتقارب فيه الطبقات والاقسام هو نمو

---

(١) العائلات التى يأتى أفرادها من طبقات ، واقســام ومجموعات مختلفـــة من المجتمع ·

عدد الاسر المختلطة ، التى لا يمكن ادخالها ، رغم كافة الاغراض العملية ،فى مجموعة واحدة • وفى المجر ، نجد أن حوالى نصف السكان أعضـاء فى مثل هذه الاسر • ومما له دلاله خاصة العدد الضخم من الاسر التى يشـمل فيها الاعضاء النشطين العمال الصناعيين والعاملين الذهنيين على الســـواء • والطبيعة الواسعة لهذه الظاهرة تشهد على التضاؤل الفعلى لانعدام المساواة، واختفاء الوعى الفئوى الذى كان يميز لدرجة كبيرة المجر القديمة ، حيث شكل العاملون الذهنيون قسما محدودا للغايه ذو امتيازات ضخمة •

لكن تشكيل البنيه الاجتماعية الجـديدة كما تحددها علاقات الانتـاج الاشتراكية قد انطلقت ليس فقط كنتيجة لنمو تجـانس المجتمع ، وانمـا كذلك لتباينه ــ فى اطار الطبقات الاساسية ، وترتبط أكثر الفوارق جوهرية بالفرص المتاحة لهذه المجموعة الاجتماعية أو تلك للمشاركة فى اقرار شئون الانتاج والتوزيع ، ولهذا السبب نولى اهمية كبيرة لتشكيل الكوادر الحزبية القيادية والتنفيذيه الاقتصادية وتحسين الميكانيزمات التى من خلالها تشارك الجماهير العاملة ، والطبقة العـاملة فى المحل الاول ، فى ادارة الشـئون الاجتماعية ، وذلك لكى نوفر فرصـا متكافئة تقريبا للحـرية الاجتماعية للمجموعات الاجتماعية المختلفة •

وهناك بعض الزيادة فى الفوارق بين أقسـام مفردة يحددها مكان الاقامة (المدينة أو الريف ، وحجم المنطقة المسكونة ، وحالة البنيه الدنيا) ومستوى المهارة ، وحجم الاسرة ، ونسبة الاعضاء العاملين ومن يعولونهم ، الخ • ومع ذلك ، فان التباين داخل طبقة مفردة بعيد عن أن يكون دائما متماثلا مع زيادة عمق عدم المساواة الاجتماعية فى مجموعه : فالتمايز المتزايد بين أقسام طبقة واحدة (مثل العمال غير المهرة والمهرة) يمكن أن يعنى فى نفس الوقت توزيعا أكبر للاقسام الاخرى (مثل العمال المهرة والعاملين الذهنيين) •

العمل : معيار المساواة

لقد حققت الاشتراكية درجة محددة من المساواة على أساس العمل والملكية الاجتماعية وأشكال جديدة للتوزيع ، ونحن ندرك أن ذلك بعيد عن أن يكون مساواة كاملة أو مطلقة ، ولكننا دون أية مبالغة نعتبره انجـازا ذو أهميـة تاريخية • ولعصور واصل خيرة الرجال والنساء النضال من أجل جعـل العمل المقياس الذى يقيم بواسطته الانسان ، بدلا من الامتيازات الطبقية أو وضع الملكية ، واليوم ، تتحدد مكانة الانسان فى المجتمع فى بلادنا بنتـائج مدخلات عمله الشـخصية ، حتى اذا كان ذلك لا يتم بدرجة ثابتة بما فيه الكفاية •

وفى عملية بناء الاشتراكية المتطورة ، سوف نتقدم صوب مستوى أعلى من المساواة عن ذى قبل • وهنا ، تكون أكثر النتائج الملموسة هى توزيع دخول العمال والفلاحين ، وتسوية ضمانهم الاجتماعى ، والتطبيق الاكثر ثباتا لمبدأ

الاجر المتساوى للعمل المتساوى بالنسبة للرجال والنساء . وكان هنـــاك تقلص ملحوظ فى الدخول المكتسبة ، ولكن عائد العمل دى النوعيه الجيـدة والذى يتطلب مسئولية ومعرفة قد أصبح افضل . ولكن هنا ما يزال هنـاك الكثير الذى يجب عمله : أن نحدد بدرجه أدت اشباع أى المتطلبات الرئيسية ينبغى تامينه لكافة أفراد المجتمع ، وفى أى المجـالات ولاية درجة ينبغى أن نسعى الى مساواة أكبر فى الفرص والمكانة ، وفى أي يكون تباينها المتزايد .

وانها لمسألة معقدة أن نقيس ونقيم الفوارق فى الدخول ، وبالتالى نطاق انعدام المساواة الاقتصادية التى تستمر فى الوجود فى ظل الاشتراكية.(١)

والمفهوم التاريخى وحده هو الذى يساعد على توضيح اتجاهات التطور : توضيح ما اذا كان هناك نمو أو تسوية للفوارق ، والى جانب ذلك ، لا يوجد معيار قائم على أساس علمى ، وينطبق على كافة البلـــدان فى كافة الفترات التاريخية . للتباين الامثل للدخـــول الذى يمكن أن يساعد فى الحكم عـلى الدرجة التى يتفق فيها مع المثل الاعلى الاشتراكى . وتقييم عمق التباين الملائم يتضمن بوضوح العديد من المتغيرات ، مثل كفاءة عمل الميكانيزم الاقتصادى ، والمناخ السياسى الاجتماعى وما الى ذلك .

ونحن نعتقد أن الاختلافات فى الوقت الحاضر فى عائد العمل بالنســـبة لغالبية من يعملون صغيرة نسبيا وغير كافية . (٢) ومنذ أواخر الاربعينـات تقلص عدم المساواة فى الدخل فى المجر باطراد . وفى بعض المناطق كانت هناك دلائل على المساواة لم تتفق مع امكانيات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية ويرجع ذلك الى حقيقة أنه بعد وضع أسس الاشتراكية ، عندما قبلت غالبية الجماهير العاملة أهداف البناء الاشتراكى ، كان هناك دليل واضح على اتجاه نحو زيادة المساواة الفعلية فى الملكية . وفى الاوضاع الملموسة ، نجد حتى الذين يقبلون عدالة التوزيع وفقا للعمل من حيث المبدأ غالبا ما يميلـون الى مواقف المساواة .

---

(١) هناك مصادر مختلفة لانعدام المساواة هذا : فهذه يمكن أن ترتبط بالعمـــل (درجة تعقيده ، وموقف المجتمع التفضيلى من بعض أنواع العمل باعتبارها أنواعا مهمة بشكل خاص ، الخ) او ربما لا ترتبط هذه بالعمل (حجم الاسرة ، وعدد الاطفال ، الخ .

(٢) تصل النسبة فى الوقت الحاضر بين الاجور الكلية للـ ١٠٪ العليا والـ ١٠٪ السفلى للعمال الاجراء فى المجر الى ١ : ٦ ، والنسبة بين دخول الاسرة الى ١ : ٤ر٥ وبالنسبة لغالبية من يعملون فى الاقتصاد القومى ، تكون الاختلافات أصغر من ذلك . ان دراسة الوضع المادى لطبقات واقسام مفردة على أساس قوة ثوابت عديدة تبين أنه على خلاف الفكرة الشائعة فان متوسط الاختلافات داخل الطبقة العاملة أكبـر مما هى عليه بين العمال المهرة والمثقفين . فحوالى ٨٠٪ من المثقفين يعيشون فى ظروف مادية أفضل من العمال ، ولكن ٢٠٪ من العمال ، بدورهم ، يعيشون أفضل من بعض مجموعات المثقفين .

وعلى المدى الطـــويل ، فاننا نعتقد أنه من الضرورى للمجر أن تزيد من التباين فى عائد العمل على أساس اشتراكى لكى يكون لديها نظـــام دفـع أفضل للعمل أكثر تعقيدا ومسئولية • وبدون المساس بالحد الاقصى والادنى للدخول فى الوقت الحاضر ، من الافضل زيادة التباين فى الدخول بالنسـبة لغالبية من يعملون • ومن الممكن تحقيق احتياطيات جديدة هائلة عن طريق الاجور الاعلى والعائد الاضافى للعمل العالى النوعية والاكثر تعقيدا • ومعظم الاختلافات القائمة فى الدفع تحددها حقيقة أن البشر لهم امكانيات ومعـرفة مختلفة • وللمجتمع مصلحة فى تطوير القدرات الفردية وسوف يحث ذلك، لانه المصدر الرئيسى لنمونا الاقتصادى •

ان لدى جماهيرنا العاملة شعور حاد بالعـــدالة الاجتمـاعية والواقعية ، وتوضح نتائج الاستفتاءات أن غالبية العمال لا يعارضون المديرين فى الانتاج لانهم يأخذون ما يستحقون من مكافأة لقاء عملهم • وما ينتقد فحســـب هو الدخول المرتفعة بشكل غير مناسب والتى لا تتفق مع مدخلات عمل الانسان ومع الاهمية الاجتماعية لنشاطه • لكن الدخول المكتسبة كذلك لها حد أقصى على أساس اقتصادى مقبول اجتماعيا فى الظروف الحاضرة ، مقدار نسـبى يجب أن يؤخذ فى الاعتبار •

وعند تقييم الدرجة التى تختلف اليها الدخول هناك حاجة الى أن يؤخــذ فى الاعتبار كافة أنواعها ، ومصادرها ، وليس فقط المرتبات أو الاجـــور • وخلال السنوات القليلة الماضية ، قمنا فى المجر بدراسة دقيقة لمسألة ما يعرف بالوحدة الاقتصادية « الثانية ، المكملة » • ويوجد فى بلادنا أنواع عديدة من النشاط الاقتصادى الذى يعطى دخولاً اضافية تختلف فى حجمها لدرجة كبيرة فهناك قطع الارض الملحقة بالمنزل والحديقة التى يعتبر نصيبها فى الانتـاج الكلى للخنزير ، والدواجن كبيرا لحد ما • وكافة الظروف التكنيكية لهـــذا الانتاج الصغير تخلقها التعاونيات التى تمد ملاك قطع الارض الصغيرة هـــذه بالدواجن والبذور والاسمدة والعلف • وهذه الصلة الوثيقة بالملكية الاجتماعية هى التى تفسر الكفاءة العالية لهذه المزارع الصغيرة ، التى تعتبر مصـــــدر اضافات كبيرة لميزانيات الجماهير العاملة • وللبساتين دور مماثل تلعبـه ، ولكنها تعطى دخولا أقل من قطع الارض الصغيرة الملحقة بالمنـازل • وينبغى أن يذكر المرء كذلك العاملين فى مجال الخدمات (مثل عمال الاقفال والمفاتيح وميكانيكيو السيارات) الذين يعملون رسميا فى وقت فراغهم كحـــرفيين لحسابهم • وتؤيد الدولة مثل هذا النشاط ، لانه خلف كل هـــذه الدخول تكمن مدخلات عمل فعلية ذات فائدة للمجتمع •

ومع ذلك ، فهناك دخول أخرى لا يمكن اعتبارها دخولا مكتســـبة ، مثل البقشيش الذى يتلقاه السائقون أو السعاة • وهذه الدخول ترتبط بشـــكل غير مباشر بخدمات محددة ، ولكنها لا تتضمن أى مدخلات عمل اضـــافية • وينطبق نفس الشيء على دخـــول هؤلاء الذين يقدمون خدمات نادرة والذين

يأخذون بشكل غير رسمي أكثر من النسبة المقررة • ويمكن الحصـــول على دخل كبير من ايجار الشقق فى المدن ، ومن قطع الارض الصغيرة والمنـــازل الريفية فى اماكن الراحة والاستجمام • ونحن نعمل على الحد من أمثال هذه الدخول ، عن طريق الضرائب • وهذه الاجراءات يؤيدها الجمهور ، ولكننا سنستطيع وضع اللمسات الاخيرة فى هذا المجال فقط عندما تكـــون الدولة قادرة على توفير خدمات جيدة التنظيم من كافة الانواع بطريقة مركزية •

والاختلافات فى مستويات الاجور ، عندما توجد بوقت طـويل ، يمكن أن تؤدى كذلك الى وضع غير متساو فى الملكية ،يجد تعبيرا عنه فى حجم الملكية الشخصية الثابتة والمنقولة • ويحتاج ذلك الى أن يوضع فى الحســـبان اذا ما أردنا أن نمارس بشكل ثابت مبدأ التوزيع وفقا للعمل • وبدلا من أن تمنع تراكم الدخل المكتسب ، فان دولتنا الاشتراكية تحفزه فى الواقع بالغــاء الضرائب ، مثلا ، على ودائع بنوك الادخار • وليس صحيحا أن نقـــارن بين الانفاق التبذيرى والحرص وأن نعتبر أن شخصا يبنى مسكنا لحسابه لديه مستوى وعى اشتراكى منخفض عن شخص ينفق ما يكسبه على أغراض أخرى ولهذا فنحن ضد الديماجوجيين الذين يدينون ، من حيث المبدأ ، زيادة الملكية الخاصة من خلال توفير الاجور فى ظل الاشتراكية • ولا يســـتطيع المرء أن يتجاهل كذلك أن بعض الملكية الشخصية نشأت مما تبقى من الثروات التى انتقلت من المجر القديمة ، والفوارق فى الملكية المرتبطة بالماضى ســـتتقلص بالتدريج ثم ستختفى كلية • لكن التغلب على الفوارق الاخرى فى حجم الملكية الشخصية يمكن أن يتقدم فقط فى حدود معقولة • ان جزءا كبيرا من سكاننا مثلا ، استمروا يدخرون لانفسهم ولاطفالهم ويشـــــترون ملكية منقولة وغير منقولة ، وهذا الاهتمام يخلف المرء أمر مفهوم ، وهو السبب فى أن القانون يعترف بحق الارث • ومع ذلك فاننا نعتقد أنه من حق الشباب الذين يبدأون حياتهم أن تتاح لهم فرص متكافئة ولهذا السبب فنحن نسمح بالميراث فحسب فى حدود معينة •

ان نمو الرفاهية المادية للجماهير العـــاملة فى المجر يزيد من المســـاواة الاجتماعية ، لكن الشىء الواضح كذلك هو أن هذه العملية يمكن أن يكون لها فى بعض الحالات أثر سلبى على المساواة الاجتماعية ، وعلى وعى الانسان ، وعلى طريقة حياته • فليس من الممكن على الدوام منع السلع المادية الموجــودة فى متناول شخص ما من أن تعزز نفوذه الاجتماعى • ولهـــذا السبب يكرس حزبنا على الدوام اهتماما جادا لمسائل التــوزيع ، معتبرا اياها عنصرا هاما لسياسته الاجتماعية •

المساواة فى الحقوق والفرص

يجب أن يتذكر المرء ان المطالبة بحقوق سياسية متساوية لكافة المواطنين قدمتها لاول مرة البرجوازية وليس الاشتراكيون أو البروليتاريا (ف•أ•لينين

المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٠ ، ص ١٤٥) • ولقد أكمل المجتمع الاشتراكى الانجاز الثابت والكامل لهذه المهمة لمصلحة الجماهير العامله ، ولكن التأكيد هنا انتقل من المساواة الشكلية أمام القانون الى اقامه الديموقراطيه التى تضمن حلا ذا دلالة للمشاكل التى تنشأ •

وهناك من الاسباب ما يدعونا الى القول بأن الاشتراكية الحديثة بمعيار الحقوق السياسية هى مجتمع المساواة • فلا توجد ايه امتيازات تشريعيه لاى طبقة أو مجموعه اجتماعية (وهو ما لايعنى ، بالطبع ، أن متسكله تعزيز المساواة قد كفت عن أن تكون متصلة بالموضوع) •

وتطور التنظيم السياسى للمجتمع الاشتراكى فى ظروف عالم اليوم يعنى فى المحل الاول تكيفه مع المتطلبات الجديده • وتوسيع الديموقراطيه الاشتراكية وتعزيز المساواة بمعيار الحقوق السياسية ليس غاية فى حد ذاته ومن المهم للغاية أن نكتشف فى الحياة اليومية للمجتمع « الاطار » التنظيمى الذى تخطته بالفعل وأن نبحث على هذا الخط طرق حل المشاكل العاجلة • ان الدمقرطة الفعلية لنشاط كافة عناصر التنظيم السياسى تأتى فى نفس درجة اعادة بناء المؤسسات القائمة •

وخلال السبعينات زاد الاهتمام بتطوير الديموقراطية فى المجر بصورة ملحوظة ، كما حدث فى البلدان الاخرى من اسرتنا ، لان المرحلة الحاليه فى البناء الاشتراكى قد ألقت بدرجة كبيرة ضوء جديدا على مشكلة المساواة السياسية والقانونية ، ونشأت الحاجة الى تمثيل أكمل فى المؤسسات الاجتماعية لمصالح طبقات وأقسام ومجموعات مفردة (مهنيــة ، ومحليــة ، وعمرية ، الخ) •

تنبع المصالح الاجتماعية من احتياجات الافراد نتيجة مقارنة مطامعهم وتوزيعها بمطامح الافراد والمجموعات الاجتماعية الاخرى وتوزيعها • وتدخل أهم المصالح فى النظام السياسى للمجتمع فى شكل مطامح سياسية • وتخلق الاشتراكية الظروف اللازمة لاشباع هذه المتطلبات والمصالح للافراد والمجموعات الاجتماعية ، التى تعتبر تعبيرا عن الاتجاهات التقدمية فى التطور الاجتماعى : وهذا هو « الحد الفاصل » للمساواة السياسية والحـريات السياسيه فى مجتمعنا • وفيها يصبح لمصالح الطبقة العاملة وحلفائها أولوية التحقيق •

ان ميكانيزم والآثار الاجتماعية لابراز المصالح التى لاتوجد موضوعيا والتى حتى الآن اما لم تجد تعبيرا عنها أو وجدته فى شكل خاطىء ، وفى صورة معقدة للغاية ، وينبغى دراستها بدرجة كافية • فهل هناك حاجة على الاطلاق لخلق قنوات خاصة لابراز المصالح « الكامنة » على سطح الحياة الاجتماعية ؟ نعم ، هناك حاجة الى ذلك على ما يبدو ، لان تلك المصالح تتجه الى أن تشق طريقها فى النهاية ببطء وبطريقة مستترة •

والنظام السياسي للاشتراكية يعمل بشكل فعال اذا ما اتخذت المصالح الموجودة موضوعيا في المجتمع شكل الحركات السياسية وصيغت بشكل صريح في أشكال اجتماعية مختلفة • ويضمن ذلك تسيق المصالح ،واكتشاف وحل المشاكل الحادة سياسيا ، ومنع أية نزاعات ممكنة • وكلما عكس النظام السياسي بدرجة كافية عدم تماثل نظام المصالح ، كلما جسد بصورة أعرض المساواة السياسية والقانونية •

بيد أن تحديد المصالح ودراستها على نطاق واسع ، وبخاصة المصالح الاقتصادية ، في ادارة المجتمع يؤدى ، أولا ، الى تشكيل أوضح للاقسام والمجموعات ، من ممثلي هذه المصالح ، وثانيا ، الى زيادة تباينها • وكلا الامرين يحتاج الى تحسين ميكانيزم تمثيل وتنسيق المصالح ذات الصله •

والتحقيق الاكثر ثباتا للمصالح الاجتماعية وتعزيز المساواة السياسية والقانونية يتطلب تحسين نشاط هيئات الدولة ، وتنسيق أكبر لعمل المؤسسات المركزية والمحلية • وهكذا ، فاننا نسعى في الامور التي تعتبر « صغيرة » ولكنها ذات تأثير قوى على الرأى العام ، الى أن يكون لدينا هيئات ادارية تعمل بشكل متزايد كهيئات تقدم عنها خدمات كأجهزة قمع • وكلما زاد جهد الدولة في الدفاع عن مصالح لا المجتمع بكامله فحسب وانما كذلك عن مصالح كل مواطن ، كلما كان تقدمنا نحو المساواة السياسية والقانونية الكاملة ملحوظا بدرجة أكبر •

والثورة الثقافية تستلزم تحقيق المساواة الاجتماعية • ففي كافة البلدان الاشتراكية ، نجد للسياسة الثقافية تأثير ملحوظ على تعزيز تجانس المجتمع وفي المجر ، حيث وجدت فجوات واسعة في مستويات التعليم تاريخيا بين مختلف الطبقات والفئات ، كانت هذه المسألة ذات أهمية خاصة •

وتحت تأثير التقدم الكبير الذى تم في التعليم استنتج لبعض الوقت أن الفرص غير المتكافئة للحصول على التعليم انما تنتسب الى المجتمعات الاستغلالية وسوف تندثر أوتوماتيكيا في ظل الاشتراكية • وكانت هناك مبالغة واضحة في امكانيات المدرسة وأساليب التعليم في ازالة عدم المساواة في المجال الثقافي • وقد أوضحت الممارسة اننا نواجه هنا مشاكل اجتماعية أكثر تعقيدا بكثير يتطلب حلها ليس الوقت فحسب وانما كذلك نظاما مدروسا جيدا من الاجراءات •

ويمكن للمرء أن يغول عن طيب خاطر أن اعادة انتاج الاختلافات الثقافية بين الاجيال الناشئة في المجر أصبح أقل وضوحا • ومن الواضح كذلك أن المدرسة غير قادرة تماما على مقاومة تأثير البيئة • فالاطفال بين مختلف الاقسام الاجتماعية يستوعبون القيم التي تنقلها اليهم المدرسة بطرق مختلفة، وهذا له تأثير قوى على كل حياتهم التالية • وهذه المشكلة لا يمكن حلها بمجرد زيادة الدخول وبالاجراءات السياسية الاجتماعية لان المستوى الثقافي ونظام قيم المجموعات الاجتماعبة المفردة يتميز باستقلال ذاتي أساسي •

لنتذكر أنه بعد الحرب خلقت ظروف مواتية لتقدم الجماهير العاملة اجتماعيا فى المجر ، كما فى البلدان الاشتراكية الاخرى • كان هناك انتلجنسيا اشتراكية جديدة تتشكل ، وتجدد بشكل ملحوظ ذلك القسم من العاملين الذهنيين • وفى هذه العملية كانت زيادة حادة فى الفرص ليس فقط بالنسبة لما يسمى بحركة « المرحلة الواحدة » (مثلا ، التحول من عامل ماهر الى مثقف) وانما كذلك لحركة « المرحلتين » (التحول من عامل زراعى أو غير ماهر الى عامل ذهنى) • وفى المجر ما قبل الحرب ، كان لدى الشباب من أسرة العامل غير الماهر فرصة تصل الى ١ : ٢٠٠ « للارتفاع » الى الانتلجنسيا وفى عام ١٩٧٣ زادت هذه الفرصة الى ١ : ٥٠ •

وفى هذه الفترة ، وفرت العوامل السياسية الاجتماعية أساسا القوة المحركة للحركة الاجتماعية • وتغير الوضع مع وضع أسس الاشتراكية • ان بناء مجتمع اشتراكى متطور يتطلب تقدما علميا وتكنيكيا معجلا وتكثيفا للعمليات الاقتصادية وبالنسبة للجيل الصاعد ، ترتبط امكانية التقدم لمكانة أرقى الآن بصورة متزايدة بمستوى محدد من التعليم • لقد بدأ الاستحواذ على المعرفة ، والمهارة والثقافة يمارس تأثيرا قويا على تغيير البنية الاجتماعية ولهذا السبب ، ففى الوقت الذى ندرك فيه أن المدرسة يمكن أن تقلل الاختلافات الثقافية على نطاق محدود فحسب ، لا توجد لدينا أية نية اطلاقا للتخفيف من تأثيرنا عن طريق هذه القناة الهامة للحركة الاجتماعية •

والاشتراكية مجتمع يكون تحجر البنية الاجتماعية غريب عليه عضويا • ومهمة تعليمنا العام هو مساعدة الاطفال من المجموعات والاقسام الاجتماعية الموجودة فى ظروف ثقافية أقل مواتاة على أن تصبح « منافسة » حتى فى المدرسة من وجهة نظر مواصلة التعليم • وسوف يعطيهم ذلك فرصا متساوية بمجرد أن يتركوا المدرسة •

وعلى المدى الطويل ، فاننا ننوى فى المجر أن ننفذ اصلاح تعليم المدرسة لصياغة برامج خاصة للاطفال الصغار • وقد أوضحت التجارب أنه من سن ٣ – الى ٩ سنوات من الممكن ممارسة تأثير فعال للغاية على تشكيل قدرات الاطفال ، وبذلك نقلل من « بداية » اختلافاتهم •

وفى نفس الوقت الذى نعمل هادفين من أجل تحسين نظام التعليم العام ، يسعى حزبنا الى وضع أهداف واقعية أمام المجتمع • فالى أى درجة يمكن للسياسة فى مجال التعليم العام أن تؤثر على الحركة الاجتماعية ، وأى نوع من الحركة – الاجتماعية والفردية – ينبغى ان يسعى اليها المرء فى المستقبل القريب ؟

من وجهة نظر مصالح الاشتراكية ، يمكن خلق نطاق أمثل للحركة بين الاقسام فحسب عندما يكون هناك تغيير فى آراء الآباء حول ماذا يريدون لاطفالهم أن يكونوا • وهذا لا يمكن أن يتم بالحجج المقنعة فحسب • فالظروف

الموضوعية لعمل وحياة الاقسام الاجتماعية ينبغي تقريبها من بعضها في التطبيق . وهذا هو الشرط الوحيد الذي يمكن على أساسه أن تسود الحركة الاجتماعية القائمة على أساس القدرات الفردية .

وكنتيجة للتغيرات الجذرية في بنية المجتمع الاجتماعية ، تدرس مشكلة المساواة بشكل متزايد في ارتباطها بالاقسام والمجموعات الاجتماعية ، وتبرز الى المقدمة جوانبها الاقتصادية الاجتماعية . ومن وجهة نظر النظرية الماركسية اللينينية يعتبر ذلك موقفا جديدا لدرجة كبيرة من المشكلة ، لانه يتخطى اطار مشكلة ازالة الطبقات وتحقيق المساواة .

وعند تحديد الخطوط الاساسية لسياسته ، ووتيرة وأولوية التحويلات الاجتماعية يقوم حزب العمال الاشتراكي المجري بدراسة منتظمة للرأي العام، وبخاصة لتقييم الجماهير العاملة لمستوى المساواة الاجتماعية الذي تحقق . وقد بنيت دراسة أجريت في المجر عام ١٩٧٧ أن أقساما عريضة من الجماهير العاملة قد قبلت مثل المساواة الاجتماعية ، ورغم أنها تتخذ الموقف الاقتصادي من عديد من الظواهر والجوانب الخاصة للحياة الاجتماعية ، تسود القناعة بالعلاقات السياسية الاجتماعية القائمة بشكل عام وقد نتجت اقامة هذا المناخ المواتي في عدد من العوامل ، بما في ذلك التطور الديناميكي لاقتصادنا في الستينات والسبعينات ، والنمو الملحوظ لمستويات المعيشية والمفرطة الملموسة للمارسة الاجتماعية .

ونؤكد دراستنا حقيقة أن معظم الجماهير العاملة يحددون هويتهم وفقا لقسمهم الاجتماعي ، وأنهم قانعون بمظهرهم ويسعون على المحافظة عليها .

وقد تقرر أنه ليس هناك علاقة وثيقة بين تقييم عدالة العلاقات الاجتماعية القائمة ومكان المرء داخل نظام تقسيم العمل الاجتماعي . وتحدد التقييمات لدرجة المساواة المتحققة موضوعيا لدرجة كبيرة عن طريق بنية الوعي الفردي وخصائص نشاط العمل الفردي ، والانطباعات الشخصية والخبرة في الحياة أي بعوامل ثانوية تتباين بدرجة أكبر عن مجال العلاقات الطبقية الاجتماعية ان قسما صغيرا للعاية فحسب من الجماهير العاملة المجرية يعتقد بأن انعدام المساواة في بلادنا كبير للغاية . والاغلبية (حوالى ٧٠٪ من الذين أجري بينهم الاستفتاء) يعتقدون بأن غالبية الشعب يعيشون في ظروف مادية متوسطة ، وأقلية فحسب تعيش أفضل أو أسوأ بدرجة ملحوظة من الباقين . وحوالى ٣٠٪ من الذين أجري بينهم الاستفتاء يضعون أنفسهم بشكل طبيعي بين هذه المجموعة المتوسطة .

ان تحقيق المساواة الاجتماعية عملية تاريخية طويلة ومعقدة . انه مسعى أجيال عديدة من الشعب العامل ، وهو يتطلب الجرأة ، والحذر ، والتجديد والثبات والقدرة على حل المشاكل الجارية دون أن نضل الهدف . لقد دخلت شعوب البلدان الاشتراكية الطريق المؤدي الى المساواة الاجتماعية الكاملة ، وتحت قيادة الاحزاب الشيوعية ، تحل بنجاح ، ولاول مرة في التاريخ ، مهام خلق ذاتية جديدة للانسان .

وجهة نظر..

نيكاراجوا الجديدة وطريق الثورة

بقلم : توماس بورج مارتينيس

« ستصبح نيكاراجوا حرة بفضل أبنائها المخلصين لها ٠ »

هذه الكلمات التى أطلقها كنبوءة الزعيم الاسطورى أوجستو سيزار ساندينو قد وجدت الآن طريقها الى أرض الواقع ٠ واستطاع الجيل الجديد من الوطنيين النيكاراجويين أن يحققوا الاهداف التى قاتل ومات فى سبيلها هذا القائد العظيم للشعب الحر ٠ ويعتبر توماس بورج مارتينس آخر المناضلين الوطنيين الاحياء الذين ساهموا فى تأسيس جبهة التحرير الوطنى ساندنيستا التى قادت الشعب الى النصر على دكتاتورية سوموزا ٠ وفيما يلى ننشر الحديث الصحفى الذى أدلى به توماس بورج مارتينس الى مراسل مجلة السلم والاشتراكية ٠

● **تقدم الصحافة العالمية تحليلات وتقييمات مختلفة لثورة نيكاراجوا . فما هى وجهة نظر رجال ساندنيستا أنفسهم فى هذا الشأن ؟**

ـ من وجهة نظرنا فان ثورة نيكاراجوا ثورة ديموقراطية وشعبية ومعادية للامبريالية . فقد قضت على الحكم الاستبدادى وبمشاركة نشطه من الشعب عن طريق تنظيماتها ومنظماتها العامة . وحققت البلاد استقلالها السياسى وأصبح الشعب سيدا على أرضه . وأصبح من المستحيل على الولايات المتحدة الامريكية أن تمارس دور الوصى فضلا عن دور الحاكم . ومن الناحية الاخرى يمكن أن يطلق أيضا على ثورتنا صفة الثورة الزراعية بحكم أن أحد أهدافها يتمثل فى تغيير علاقات الانتاج فى الزراعة .

وواجبنا اليوم هو الدفاع عن وتدعيم السلطة الثورية لساندنيستا ، وانجاز الخطة العاجلة لعام ١٩٨٠ للاصلاح الاقتصادى القومى ، وتعميق التحولات الجذرية ، ورفع شأن ومكانة وطننا الذى نتطلع الى أن يصبح نموذجيا يحتذى به فى الديموقراطية والعدالة والتضامن . وسنركز فى المستقبل على تحقيق التحرر الوطنى الكامل ، والاسراع بالتقدم الاقتصادى وتحسين أحوال الشعب .

وثورة ساندنيستا مثلها مثل أى ثورة شعبية حقة تتسق مع التطور التاريخى وتحتفظ بطابع قومى عميق . وما أقصده بالتحديد هو خبرتنا الماضية والحالية فى النضال ضد الامبريالية والروح الثورية الخلاقة وشجاعة وبطولة شعبنا الذى أثبت دائما تفهمه وتقبله لافكار **أوجستو سيزار ساندينو** البطل الوطنى العظيم ، ولافكار **كارلوس فونسيكا آمادور** الذى سقط عام ١٩٧٦ وهو يحمل راية النضال ضد سفاحى **سوموزا** . كما أن رجال **الساندنيستا** سعو دائما الى الاستفادة الجادة والخلاقة من الخبرة الثورية للبلدان الاخرى وهؤلاء الذين ناضلوا وما زالوا يناضلون ضد الامبريالية من أجل القضاء على استغلال الانسان للانسان ، وذلك عن طريق تحليل انجازات وأخطاء الثورات السابقة ودراسة شتى الظواهر الاجتماعية المتعلقة بقضيتنا.

● **ما هو تصورك لخريطة توزيع القوى السياسية فى نيكاراجوا الآن ؟**

ـ يمكننى أن أقرر أن الكتلة الاساسية للشعب تناصر وتؤيد بحرارة جبهة التحرير الوطنى « **ساندنيستا** » وقيادتها . وبالرغم من أن الاحزاب التقليدية بما فيها الاحزاب المحافظة والليبرالية ما زالت قائمة الا أنها فى سبيلها الى الاختفاء . وعلى المثال فان الحزب الوطنى الديموقراطى المسيحى الذى يمثل أقلية ضئيلة من السكان يتمتع بتأييد الدوائر الرجعية . ولكنه توجد أيضا قوى اتخذت موقف المعارضة لنظام سوموزا ومن بينها الحزب الليبرالى المستقل والحزب الديموقراطى المسيحى . أما بالنسبة للحزب

الاشتراكى فى نيكاراجوا فقد انضمت بالفعل احدى فصائله الى جبهة التحرير « ساندنيستا » بينما ما زالت المفاوضات جارية بين المجموعة الاخرى وقيادة الجبهة الامر الذى يرجح احتمال انضمامها أيضا فى وقت قريب الى الجبهة والى جانب هذا توجد منظمات مثل « الحركة الديموقراطية النيكاراجوية » التى تتخذ موقفا انتقاديا من « جبهة التحرير الوطنى الساندنيستا » • ومن جانبنا فاننا نحاول التغلب على الخلافات ونعمل كلما كان ذلك ممكنا على الانتقال والتحول من التحالفات التكتيكية الى التحالف الاستراتيجى •

وحرية التعبير والحرية الدينية مكفولة فى بلادنا • وأعوان **سوموزا** وأعداء الثورة الذين يسعون الى قلب الاوضاع فى نيكاراجوا هم وحدهم المحرومون من حرية التعبير • وديموقراطيتنا ليست ديموقراطية خادعة أو زائفة ولا علاقة لها على الاطلاق بتلك « الديموقراطية » التى كان يفرضها **سوموزا** •

كما أننا نبذل كل جهد ممكن لتقوية جبهة **الساندنيستا** ولكى نبنى على أساسها حزبا ثوريا طليعيا يلعب دور القائد السياسى للشعب ، ونقدم كل عون للمنظمات الجماهيرية مثل المركز النقابى لساندنيستا ، هذا مع العلم بأن كل الظروف مهيأة لذلك • ويؤيد مركز التنسيق النقابى اقتراحنا الخاص بتكوين مركز نقابى متكامل • ونولى أيضا أهمية كبرى للعمل الذى تقوم عصبة شباب ١٩ يوليو التابعة للساندنيستا ورابطة العمال الزراعيين كما أننا نخطط لتكوين منظمة للاطفال • ومن وجهة نظرنا فان مختلف أشكال هذه الروابط والمنظمات تلعب دور الوحدات التى تربط الطليعة بالجماهير• وتعطى اهتماما خاصا للجان الدفاع التابعة **لساندنيستا** والتى تقوم بشرح الخط السياسى لجبهة التحرير الوطنى « **ساندنيستا** » للجماهير وتنقل لقادة الشعب مشاعر وتوقعات وآراء واهتمامات والمطالب والمقترحات الانتقادية البناءة لجماهير السكان • وبالطبع فاننا نقوم الآن ببناء الجيش الشعبى لساندنيستا والمليشيا الشعبية وكذلك قوات الشرطة والامن التى تحارب الجريمة وتطارد النشاط المعادى للثورة •

● **لقد أشرت للخطة الاقتصادية العاجلة لعام ١٩٨٠ • هل لك أن تلقى بعض الضوء على أهدافها ؟**

— انها تستهدف حل المشاكل الاجتماعية الملحة : اطعام الجوعى ، وتزويد الشعب بالغذاء ، والحد من البطالة ، ورفع الدخول الحقيقية للشعب العامل وسنعمل فى المستقبل على الاستفادة القصوى من الطاقات الموجودة وفى مقدمتها الموارد المائية وغيرها والتنقيب المكثف عن البترول الموجود بكل تأكيد فى أراضينا • وسيكون فى وسعنا التخطيط لاستخدام الطاقة الذرية فى اقتصادنا عندما نتغلب على حالة الفوضى ونتجح فى الوصول الى مستوى معيشة أفضل •

● يعتقد بعض الخبراء فى شئون نيكاراجوا أن بلادكم يمكن أن تحقق تحولات تقدمية اذا ما تبنت قيادتها سياسة التعايش مع البورجوازية فى الاقتصاد • وما رأيكم فى هذا ؟

ـ حقا ، نحن نحتاج الى المعرفة والمهارة الموجودة لدى ذلك القسم من البورجوازية المستعد لتقديم العون لنا فى زيادة الانتاج • ولكن ما نحتاج اليه ليس هذا النوع من « التعايش » الذى يتخذ صورة الاقتصاد المختلط •

هناك ثلاثة أشكال فى الملكية تقوم عليها السياسة الاقتصادية لجبهة التحرير الوطنى « **ساندنيستا** » : الملكية الخاصة ، والمختلطة ؛ والعامة أو ما نطلق عليها ملكية الشعب كله والتى خلقت فى عملية نزع ملكية سوموزا واعوانه والبورجوازية الفاسدة وأيضا عن طريق تأميم المناجم والغابات والموارد المائية التى كانت مملوكة للشركات الاجنبية ، ومع ازدياد قوة الثورة وارتقاء الوعى الطبقى للشعب فاننا سنعمل على توسيع الملكية العامة آخذين فى الاعتبار عدم تفاقم التناقضات مع أقسام البورجوازية المتقبلة للتغيرات الثورية الجارية الآن • وأعطينا اشارة الضوء الخضراء لجميع هؤلاء الذين يبدون الاستعداد للمساهمة فى التقدم الاقتصادى للبلاد وتخليصها من التخلف : ومن الناحية الاخرى فاننا سنوجه اشارة الضوء الاحمر لهولاء الذين يعارضون الواقع الجديد وغير القادرين على تفهم الخطوط الاساسية لثورة الساندنيستا وبأن الثورة غير قابلة للانتكاس ، هؤلاء سواء بتمسكهم بالاوهام أو العناد يضربون رؤوسهم بالحائط وكما قلنا مرارا وتكرارا لاصحاب المشاريع الخاصة بنقل الحركة باستثناء الحركة للخلف •

وبكل أسف فان بعض الشخصيات الرئيسية فى « المجلس الاعلى للقطاع الخاص » فشلوا فى ادراك هذا • وقد نشروا بيانا يعكس عدم رضاءهم عن العديد من القوانين الحكومية وخاصة المرسوم الذى يعطى الفلاحين حق ملكية الارض التى احتلوها • وبالطبع فان الاصلاح الزراعى يتعارض مع اتجاه مثل هذا المجلس ، الامر الذى يمكن تفسيره فى العلاقات الوثيقة بين أعضائه وطبقة كبار ملاك الاراضى التى استغلت ببشاعة وعلى مدى قرون الفلاحين • ومثل هذا الموقف من جانب المجلس لم يقابل ولا يمكن أن يقابل بتأييد الشعب والفلاحين فى المحل الاول • ويأتى بعد ذلك ازدياد استنزاف رؤوس الاموال بواسطة البنوك الاجنبية الذى حدث كرد فعل للاجراءات الراديكالية الثورية • وتقع الاعمال من هذا القبيل تحت طائلة القانون الثورى الذى صدر مؤخرا • وسننفذ ـ نحن من جانبنا ـ هذا القانون بكل صرامة •ولن يسمح رجال الساندنيستا للاقلية المتحيزة أن تفرض ارادتها على الشعب الذى هب للنضال لكسر سلاسل التبعية والاستغلال ولكسب الحرية والاستقلال • ولا يمكننا أن نسمح على الاطلاق لمصالح أعداء التقدم أن توضع فوق مصالح الفلاحين أكثر الطبقات المقهورة والمستغلة • فلفلاحينا كل الحق

فى حياة أفضل . وقد كسبوا هذا الحق بنضالهم وبمشاركتهم النشطة فى الحرب الاهلية .

● ما هو الخط السياسى فى السياسة الخارجية لنيكاراجوا الجديدة ؟

– يشعر رجال **الساندنيستا** بالامتنان للمنظمات والبلدان التى ساندتهم قبل انتصار الثورة . ونحن اليوم نتطلع الى علاقات ودية مع جميع الدول والشعوب التى تحترم سيادتنا الوطنية وتؤيد نضالنا فى سبيل التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى .

وعدم الانحياز يشكل الخط الاساسى للسياسة الخارجية لنيكاراجوا . وقد أعلن هذا بكل وضوح **دانييل أورتيجا** فى مؤتمر عدم الانحياز فى هافانا ونحن نرى فى عدم الانحياز التعبير الواضح عن النضال فى سبيلا لسيادة الوطنية الكاملة ونظام اقتصادى جديد قائم على التبادل المتكافىء والمساواة ورجال الساندنيستا بوصفهم أعداء للامبريالية يؤيدون بحسم القضاء على الاستعمار والاستعمار الجديد والعنصرية والصهيونية والتمييز العنصرى . ومن الطبيعى أننا مع السلام العالمى ، والانفراج ، والتوقيع فى أقرب وقت ممكن على اتفاقية **سولت** – ٢ للتحسين الاكيد الذى ستحدثه فى المناخ الدولى .

ولا تنظر جبهة التحرير الوطنى **ساندنيستا** الى التعايش السلمى باعتباره شكلا من أشكال التهاون مع الامبريالية والقهر الاجتماعى . بل اننا نعتقد أن الشعوب لها كل الحق لاستخدام أية وسيلة أو شكل من أشكال النضال بما فيه الكفاح المسلح لكسب الحرية . فقد بدأ رجال **الساندنيستا** حرب العصابات ضد الحكم الاستبدادى وكسبوا السلام ، وفى وسع شعوب أمريكا اللاتينية الاخرى أن تبرهن على قدرتها على تحطيم جهاز القمع للطبقات المستغلة واقامة ديموقراطية الشعب وبالتالى تساهم فى اقرار السلام العالمى والانفراج وتقوى النضال المعادى للامبريالية .

ومما لا جدال فيه أن أسرة البلدان الاشتراكية تلعب دورا هاما جدا فى احتواء النزعة العدوانية للامبريالية وخلق الظروف المناسبة للعمليات الثورية وقدم الاتحاد السوفييتى والدول الاشتراكية الاخرى الكثير لتحقيق الانفراج وأمدوا البلدان التى حطمت أسوار التبعية للاستعمار الجديد بمساعدات سياسية ومادية ضخمة وهناك أيضا بلدان أخرى تحارب التدخلات الامبريالية فى الشئون الداخلية لبلدان أمريكا اللاتينية . وفى هذا الصدد نشير الى عدد من بلدان أمريكا اللاتينية وبالتحديد المكسيك . وبفضل مواقف هذه البلدان الصلبة فان مخططات التدخل فى نيكاراجوا من قبل الولايات المتحدة الامريكية كان مصيرها الفشل . وتتخذ اليوم بعض هذه البلدان الخطوات اللازمة لمنع غزو عسكرى أمريكى للسالفادور . ومن جانبنا فقد أعلنا بالفعل

بأننا سنعتبر أى عدوان على السالفادور بمثابة تدخل فى شئوننا الخاصة .

● ما هى التكتيكات والاساليب التى تستخدمها الامبريائيــة والرجعيــة المحلية لتغيير مسار الثورة ؟

ــ انها تندرج أساسا فى اطار المحاولات التى تبذل لابتزاز بلادنا وارغامها على قبول القروض بشروط مجحفة وقالت لنا الولايات المتحدة بشكل واضح فى مناسبات كثيرة أن برنامج معونتها المخصص لنا سـيتعرض للخطـر اذا اتخذت نيكاراجوا موقفا مخالفا لموقف الولايات المتحدة فى قضـــايا دولية معينة . وكان ردنا دائما فى مثل هذه الحالات أن رجال الساندنيستا ليسوا على استعداد لبيع أنفسهم وبالتالى لم نستسلم . ومن الناحية الاخرى تعمل الرجعية المحلية على تقويض العملية الثورية ونســـف برنامج الانعـــاش الاقتصادى . وكما ذكرت من قبل فان بعض البورجوازيين يعمدون الى اخراج رؤوس أموالهم من البلاد . كما يقومون بخفض الانتاج ويزيفون التقـارير المالية لاخفاء أرباحهم والتهرب من العقوبات . وبالرغم من كل العون المالى الذى تقدمه الدولة فانهم يغلقون المصانع أو يخربون المنشآت أو يهبطـون بالنشاط الاقتصادى الى أقل حد ممكن . والى جانب هذا ، هناك ما يسمون بالثوريين المتطرفين فانهم يدورون فى نفس الساقية . فهم بدورهم يسيئون الى الثورة ويستثيرون الناس ضد الحكومة ويحرضون العمال على تقديم مطالب غير واقعية .

ومن جانبنا فاننا لا نقف مكتوفى الايدى أمام هذه الاعمال المعادية ونحاول الرد عليها فورا وبكل حزم تسمح به القوانين . ولن تسمح ثورة الساندنيستا لقوى اليمين واليسار أن تعرض للخطر خطة الانعاش الاقتصادى والنتائج التى حققتها الجهود العظيمة للشعب من أجل حل المشـــاكل الاجتماعية . ولن نتوانى عن اتخاذ كافة الاجراءات الضرورية للدفاع عن الثـورة الامر الذى يتطلب جهدا ضخما وتضحية وبطولات من جانب الشعب .

●



بقلم : د. محمد عمارة

أبو الحسن الماوردى ، على بن محمد بن حبيب (٣٦٤ ـ ٤٥٠ هـ ٩٧٤ ـ ١٠٥٨ م) واحد من مفكرى العرب وعلماء الاسلام الذين يمثلون علامة من العلامات البارزة والمتميزة على درب تطورنا الحضارى وتبلور تراثنا ، خاصة ما تعلق منه بالسياسية والتشريع •

ولد بالبصرة ، وأخذ عن علمائها المشاهير فى عصره الفقه والحديث وعلومه •• ثم انتقل الى بغداد ، فواصل تفقهه على أعلام الفقه بها •• ثم أخذ يلقى هناك دروس الفقه والتفسير ••

وكانت خلافة بغداد العباسية تعيش عصر ضعفها فى ظل سلطان الدولة البويهية المهيمن عليها •• وكانت المحافظة الفكرية التى التزمتها الخلافة العباسية منذ عهد المتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١ م) فى مقدمة أسباب ضعف هذه الدولة ، وهو الضعف الذى جعل سلطانها شكليا ، ثم اسلمها للزوال ••

وكان البويهيون شيعة يميلون الى المذهب الزيدى ، الذى يتسق مع المعتزلة فى أصولهم الفكرية الخمسة ، ولذلك قامت فى دولتهم للمعتزلة صحوة فكرية تمثلت فى جهود قاضى القضاة عبد الجبار بن أحمد (٤١٥ هـ) وتلاميذه •• بينما اضطر مفكر كالماوردى ـ وهو معتزلى ـ الى كتمان مذهبه ، والتوريه فى مؤلفاته أن هو أراد الاشارة الى أهل الاعتزال وآرائهم ! ، لانه قد اختار ـ رغم صلاته الحسنة بالامراء البويهيين ـ أن يعيش فى بغداد ويعمل فى دولة العباسيين ، التى كانت قد حرمت منذ عهد خليفتها القادر (٣٨١ ـ ٤٢٣ هـ) فكر المعتزلة ، وأصدرت بذلك مرسوماً يشبه قرارات المجامع الكنسية ، وأسمته (الاعتقاد القادرى) !

وفي ظل هذه الدولة عمل الماوردى وتولى منصب القضاء فى عدد من البلاد ، ثم رأس القضاة فى كورة (مقاطعة) « اســتوا » التى ضمت ثلاثا وتسعين قرية ، عاصمتها مدينة « جيوشــان » ·· وفى سنة ٤٢٩ هـ · على عهد الخليفة القائم بأمر اللــه ، تولى الماوردى منصب « اقضى القضاة » ، وهو منصب يلى منصب وزير العــدل ــ قاضى القضاة ــ فى ذلك التاريخ ·

والى جانب التقاليد التى أرساها الماوردى فى عمله بالقضاء ، فلقد ترك فى مكتبة التراث العربى الاســلامى بناء شامخا تمثل فى اثنى عشر كتابا ، يزيد واحد منها ــ (الحاوى الكبير ــ فى الفقه) ــ عن ثلاثين جزءا ·· وفى هذا التراث نجد فكر الماوردى اضافة مبدعة ومبتكرة فى عدد من القضــايا الفكــرية ، وعلامة متميزة تتمثل فيها احدى نقاط التطور فى حركة التأليف والتفكير فى تراثنا ··

فله فى الحكمة والادب تراث يمتاز بسهولة الاســـلوب ورقة العبارة ، مع بلاغتها ، وبغزارة المعرفة ورقى المضامين التى تحملها هذه العبارات ، ويكفى أن ننظر فى كتابه (ادب الدنيا والدين) لنرى أرقى المعانى والحكم والمثل ، فى عبارات سهلة وبليغة ــ حتى لقد ظل هذا الكتاب « كتاب مطالعة » فى المدارس المصرية لسنوات طويلة ! ··

وله فى الفقــه ، وفى القضــــاء والتشريع آثار قنن فيها وبها الشريعة ، وسجل عبقرية علماء الفقه الاسلامى فى صناعة القانون ، هــذا الى لمحات تعلى من قدر القاضى عنــدما يضع لذوى الســـلطان والتسلط الحدود والمعايير !

وله فى التفسير ·· والنبوات ·· والنحو آثار ··

فى علم السياسة : ــ

غير ان اهم الاثار الفكرية التى تركها الماوردى ، هى فى تقديرى ، آثاره الفكرية السياسية ·· فله ــ من حيث الكم ــ فى هذا الميدان :

١ ــ كتاب الاحكام السلطانية ··   ٢ ــ ونصيحة الملوك ·
٣ ــ وتسهيل النظر ·   ٤ ــ وقوانين الوزارة وسياسة الملك

كما ان كتاباته الفقهية والقضائية ، وكذلك كتابه ((أدب الدنيا والدين)) ذات صلة وثيقة بالفكر السياسى والتشريع ··

وأخطر من « الكم » فى هذا الميدان فان الماوردى يمثل طليعة مدرســة فى الفكر السياسى بتراثنا ، وانتقالة جديدة متميزة على درب تطورنا فى هــــذا الميدان ·· فقبل الماوردى كانت مباحث السياسة والادارة والولايات ، وفى مقدمتها الولاية العامة ، وهى الامامة والخلافة ، كانت هذه المباحث ــ رغم أنها من الفروع وليست من الاصول فى نظر كل فرق الاسلام ، باستثناء الشيعة ــ كانت تأتى فى كتب علم الكلام ، يوردها مفكرو الشيعة فى صــلب كتب علم الكلام ــ وموضوعه أصول الدين ــ ويوردها مفكروا المعتزلة وكل أهــل السنة فى نهاية كتب الاصول ــ علم الكلام ــ وقبل الانتقال الى كتــب الفروع ــ الفقه ــ ··

: وكان السبب فى ذلك أن بداية التأليف فى مبحث الامامة قد كان لمفكرى الشيعة ، وهى عندهم من أركان الدين وأصوله ، فذكروها فى كتب الاصول .. فلما انبرى المعتزلة ، ومن بعدهم باقى الفرق ، للرد عليهم ، جرت عادتهم بذكر هذا المبحث فى نهاية كتب الاصول ـ علم الكلام ـ وبعبارة الامـــام الغزالى « ١٠٥٩ ـ ١١١١ م » فان نظرية الامامة لبست من المهمات ، وليست من فن المعقولات فيها ، بل من الفقهيات .. ولكن اذ جرى الرسم باختتـــام المعتقدات به أردنا أن نسلك المنهج المعتاد ، فان القلوب عن المنهج المخـــالف للمألوف شديدة النفار (١) .. وكما يقول الايجى والجرجانى « فان الامامة ليست من أصول الديانات والعقائد ، بل هى من الفروع المتعلقة بأفعـــال المكلفين .. وانما ذكرناها فى علم الكلام تأسيا بمن قبلنا ، اذ قد جرت عادة المتكلمين بذكرها فى أواخر كتبهم (٢) » .

ولقد ظلت هذه العادة جارية ومتبعة .. كما ظلت تحدث اللبس الذى يفيد مذهب الشيعة بسبب وضع المباحث السياسية فى كتب أصول الدين ، الامر الذى يلقى ظلالا توحى بأن الامامة ونظم الحكم والولايات انما هى أمور دينية ، الفصل فيها للوحى لا للبشر ، وهى ظلال وشبهات تفيد القـــائلين « بالسلطة الدينية » والحكم وفق نظرية « الحق الالهى » ..

ومن هنا تأتى أهمية الماوردى عندما جاء فصحح هذا الخطأ ، بعدوله عن هذه « العادة » وتمثيله دور الرائد فى هذا المجال .. ولقد كان تصحيح الماوردى واضحا وعميقا ، **فهو لم ينتقل بمبحث الامامة ونظام الحكم من كتب علم الكلام الى كتب الفقه ، بل أفرد لهذا الفن كتابا خاصا ومؤلفـــا منفردا : هو كتابه عن « الاحكام السلطانية » الذى جاء أول مؤلف فى تراثنا يؤرخ لاستقلال هذا الفن عن الفقه وعن الكلام .. ذلك الاستقلال الذى أبرز الطابع المدنى لهذا البحث وأسهم فى تبديد الظلال التى أضفت الطبيعة الدينية على مباحث السياسة فى تراث المسلمين السنيين ..**

والماوردى يحدثنا عن انجازه هذا فى مقدمة « الاحكام السلطانية » فيقول : **« ولما كانت الاحكام السلطانية بولاة الامور أحق ، وكان امتزاجها بجميـــع الاحكام يقطعهم عن تصفحها ، مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، أفردت لها كتابا (١) .. » وهو هنا لايصحح فقط سنة خاطئة فى التصنيف ، بل يشير الى اتساع مجالات هذا الفن فى الحياة العربية الاسلامية ، الامـــر الذى استحالت معه امكانية اطلاع أهله وأربابه على مجالاته ومباحثه وسط مباحث غيره من الفنون ..**

---

(١) (الاقتصـــاد فى الاعتقـــاد) ص ١٣٤ · طبعة صبيح ـ القاهرة ·
(٢) (شرح المواقف) جـ ٣ ص ٢٦١ ـ طبعة القاهرة سنة ١٣١١ هـ ·
(١) ص ٣ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م

الانسان ، اجتماعي .. والسلطة : مدنية :

واذا أغنت هذه الاشارات ، فى مثل هذا المقام ، عن التفصيل ، ودلت على تمييز فن السياسة عن غيره ، ومجيء الماوردى وكتابه علامة على هـــذا التمييز والاستقلال ، فان قولنا عنه بأنه كان البداية والطليعة لمدرســـة فى الفكر السياسى العربى الاسلامى أبرزت الطابع المدنى للسياسة ، ان قولنـــا هذا كله شواهد كثيرة ، وعليه أكثر من دليل ..

● فالماوردى فى كتابه هذا يفرد فصولا للامور السياسية « وفيها : السلطة العليا « الامامة » ـ والوزارة ـ وامارة الاقاليم ـ والحرب ـ والقضاء ـ والشئون الاقتصادية » .. ثم يفرد فصولا للولايات الدينية ، والتى تأتى تبعا للولايات السياسية « مثل امارة الحج ، وتقدم الامام للصلاة اماما » . وهو بذلك يميز بين هذين النوعين من الولايات .. بل لقد جعل عنوان كتابه « الاحكام السلطانية والولايات الدينية » .. مثبتا المغايرة بينهما ..

● **وهو ، قبل ابن خلدون « ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م » وقبل مفكرى عصر النهضة الاوربى أبرز وأكد الطابع الاجتماعى للانسان ، فهو حيوان اجتماعى ومدنى بطبعه ، وذلك سر تكون المجتمعـــات ، صغيرها وكبيرها ، والسبب فى نشأة السلطة فى هذه المجتمعات .. فهى سلطة مدنية تعالج المشكلات الناشئة عن « مدنية » الانسان الطبيعية .. وكما يقول « فان الانسان مطبوع على الافتقار الى جنسه ، واستعانته صفة لازمة لطبعه ، وخلقه ـ « بكسر الخاء وسكون اللام » ـ قائمة فى جوهره (١) .. »**

● **والانسان ، عند الماوردى ، ليس الفرد معزولا عن مجتمعه ، لانه قد قرر أن « اجتماعيته » طبع وجبلة فى جوهره .. كما أنه ليس المجمـــوع** والجمع دونما نظر للفرد وذاتيته ، بل نراه يؤكد النظرة والنظرية المتوازنة ، التى ترعى ما للفرد وما للمجموع ، ليس على نحو من التوازن السطحى الذى يفصل بينهما ويناقض ، بل على أساس **أن صلاح الفرد مرتبط ومشروط بصلاح المجموع ، وصلاح المجموع لايتحقق الا بصلاح الافراد كافراد !... يطرق الماوردى هذه الفكرة الاهم والاكثر تقدما وتطورا فيقول : « .. واعلم أن صلاح الدنيا معتبر من وجهين :**

أولهما : ماينتظم به أمور جملتها ..

والثانى : مايصلح به حال كل واحد من أهلها ..

فهما شيئان لاصلاح لاحدهما الا بصاحبه ، لان من صلحت حاله ، مع

---

(١) (أدب الدنيا والدين) ص ١٣٢ · طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م ·

فساد الدنيا ، واختلال أمورها ، لن يعدم أن يتعدى اليه فسادها ، ويقدح فيه اختلالها ، لانه منها يستمد ، ولها يستعد . ومن فسدت حاله ، مع صلاح الدنيا ، وانتظام أمورها ، لم يجد لصلاحها لذة ، ولا لاستقامتها اثرا ، لان الانسان دنيا نفسه ، فليس يرى الصلاح الا اذا صلحت له ، ولا يجد الفساد الا اذا فسدت عليه ، لان نفسه أخص ، وحاله أمس ، فصار نظره الى ما يخصه مصروفا ، وفكره على ما يمسه موقوفا .. » (١)

● على هذا النحو ربط الماوردى بين الانسان الفرد ومجتمع الناس المكون من الافراد : مصلحة ، وسعادة ، وشقاء .. وعلى نحو جديد ومبتكر وعميق ربط بين الفرد والجمع عندما تناول قضية « الشكل » الامثل الذى يحقق للامة الاستفادة المثلى من مبدأ « الشورى » فى السياسة ، كفلسفة لنظام الحكم فى الاسلام ..

فهو يعرض لمذاهب الامم وآراء المفكرين فى هذا « الشكل » .. فيذكر ـ بعد تحبيذه للشورى وحديثه عن ضرورتها للحاكم والامة ـ أن مذهب الفرس وفكرهم السياسى يرى أن تكون للشورى جمعية يلتقى فيها ذوو الرأى ، حتى اذا عرض أحدهم فكره كان المجال قائما وفسيحا للنقد والتعديل والتوضيح .. ثم يذكر مذاهب أمم أخرى حبذ مفكروها السياسيون أن تكون الشورى فردية ، حيث تتاح للخبير ذى الرأى فرصة التأمل ووصف الدواء للداء ، كما يفعل الدارس والعالم ازاء القضايا التى يعرض لها بالبحث والتمحيص ، وهو نمط فى الشورى يضمن براءة المشورة من تملق الجمع ومن الطمع فى « الحظوة بالصواب ، فان القرائح اذا انفردت استكدها الفكر واستفزعها الاجتهاد ، واذا اجتمعت فوضت » وغالبا ماتتبع الرأى البراق الذى يلقى اليها فى الابتداء !

وبعد عرض مذاهب الامم ومفكريها ، يدلى الماوردى بدلوه ، فيحبذ « شكلا » للشورى يجمع بين هذين « الشكلين » ، على أن يختص كل « شكل » بنمط محدد من القضايا والمشكلات ، أو بمرحلة معينة من مراحل الشورى والاجتهاد ..

فاذا كانت القضايا المعروضة للتشاور واضحة ، لا يصعب تبين الفساد فيها من الصلاح ، وكان المطلوب الحكم : « هل هى صواب ؟ أم خطأ ؟ » كان اجتماع أهل الشورى هو الامثل .. أما اذا كانت الامور والقضايا مبهمة ، تستدعى الدراسة والتمحيص ، فانفراد المستشار بالقضية مطلوب حتى اذا اهتدى فيها الى رأى مدروس ، كان الوضع مهيأ لاجتماع المستشارين لعرض ثمرات بحثهم والانتهاء الى الرأى الذى يقررون .. وبعبارته ، **فان الافضل فى مثل هذه الحالة « انفراد كل واحد بفكره ، وخلوه**

---

(١) المصدر السابق . ص ١٣٤ .

بخاطره ، ليجتهد فى الجواب ، ثم يقع الكشف عنه : أخطأ هو ؟ أم صواب ؟ فيكون الاجتهاد فى الجواب منفردا ، والكشف عن الصواب مجتمعا ، لان الانفراد فى اجتهاد أوضح ، والاجتماع على المناظرة أبلغ ! (١)

والماوردى عندما يقدم لنا هذه الاضافة الفكرية التى أضافها للفكر السياسى فى عصره ، انما يجمع مزايا الفرد الى مزايا المجموع ، وهو بذلك ينبىء عن أصالته التى تنبع من أرض الحضارة التى اتخذت المتوازن ورفضت التطرف ، على اختلاف مواقعه ، وفى كل الميادين .. وهو بهذا الفكر ، أيضا ، يسبق عصره ، فما حدثنا عنه هنا هو نفس مانجده اليوم فى مجالس الشورى بمختلف الديمقراطيات .. خبراء ولجان محدودة العدد تدرس وتستجلى الامور ، ثم اجتماع موسع لتقرير الاصح والانفع وتحديد الخطأ والصواب !..

لقد كان الماوردى ، ولايزال ، خاصة فى الفكر السياسى ، عالما ينتظر كوكبة من المستكشفين ، وذلك حتى تتأصل لامتنا نظرتها المستقبلية ،وتتدعم وتثبت خطواتها على درب التقدم الطويل .!

قواعد الاصلاح الاجتماعى :

عالم الفكر السياسى عند الماوردى حافل بالنظريات والنظرات التى تكشف للباحث عن عمق وأصالة وابداع صاغها هذا الفكر فى أسلوب سهل رشيق وبليغ ـ ويشهد لصدق هذه المقولة أن السياسة عند الماوردى لم تأت كلها فى صورة أفكار مباشرة ونظم وقواعد وتشريعات .. بل ان بين ثنايا آثاره التى قد لا يحسبها البعض ذات صلة بالفكر السياسى نجد أصولا وقواعد للاصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى يقدمها الرجل للعرب والمسلمين . وكتاب الماوردى « أدب الدنيا والدين » نموذج فى ذلك .. فبينما هو معقود لترغيب القارىء فى الاخلاق والفضائل الدينية والاداب الاجتماعية ، وتزكيتها ـ بعد عرض مزاياها ـ بايراد مايرشحها من قرآن ، وسنة ، وأدب عربى ، وتراث أجنبى ، اذا نحن فى هذا الكتاب ، وبين ثناياه ، حيال نظرات ونظريات عبقرية فى السياسة والاصلاح ..

قواعد الاصلاح الدنيوى :

ففى صفحات من هذا الكتاب يتحدث الماوردى عن القواعد التى يراها ضرورية لاصلاح الحياة الدنيا وصلاح الانسان فيها .. وهذا الصلاح يراه الرجل الشرط والمقدمة لصلاح الدين فالقاعدة التى استقرت لدى مفكرى

---

(١) المصدر السابق • ص ٢٩٢ ، ٢٩٣ •

الدين والدنيا فى تراثنا وحضارتنا هى : **أن صلاح الابدان مقدم على صلاح الاديان .. وبعبارة الامام الغزالى « ١٠٥٩ - ١١١١ م » : فان « نظام الدين لايحصل الا بنظام الدنيا .. فنظام الدين ، بالمعرفة والعبادة ، لا يتوصل اليهما الا بصحة البدن ، وبقاء الحياة ، وسلامة قدر الحاجات ، من : الكسوة ، والمسكن ، والأقوات ، والامن .. فلا ينتظم الدين الا بتحقيق الامن على هذه المهما تالضرورية .. أن نظام الدنيا شرط لنظام الدين ! (١)»**

ومن هذا المنطلق الفكرى « الواقعى » الذى ساد الحضارة العربية الاسلامية كان اهتمام الماوردى ، المفكر الاسلامى ، والسياسى ، والمشرع ، بالقواعد اللازمة لاصلاح المجتمع والحياة الدنيوية للانسان ..

وعند الماوردى أن القواعد الاصلية والاصيلة التى يتوقف على قيامها فى المجتمع صلاح هذا المجتمع وسعادة الناس فيه هى ست قواعد كلية : الدين .. والسلطة .. والعدل .. والامن .. والخصب .. والامل !

وهى قواعد عامة ، تندرج تحتها تفصيلات وتفريعات ، وترتبط ببعضها بعلائق وأسباب .. والوقوف على مدى تحقيقها لصلاح المجتمع وسعادة الانسان ، وعلى دلالتها على عبقرية الماوردى كمصلح اجتماعى ، تتطلب وقفات قصيرة ونظرات متأملة أمام كل قاعدة منها على انفراد ..

القاعدة الاولى : الدين المتبع

والماوردى يشترط أن يكون الدين ، كى يؤتى ثماره - متبعا ، أى أن يتدين به الناس ، بمعنى أن يمارسوه فى سلوكهم ، لا أن تكون تعاليمه ووصاياه حبيسة الكتب والشعارات ، أو مادة لستر المنكرات ، وبضائع للتجارات !

وعنده أن التدين بالدين ليس تعبدا فقط ولا هو بالامر المقطوع الصلة بالغايات وأهداف الاصلاح ، والا لما كان له مكان بين قواعد الاصلاح .. فالتدين لابد وأن يصرف أصحابه عن الشهوات ويكبح جماح الارادات أن تتعدى حدود الاعتدال ..

وهو لاينسى أن ينبه ، على لسان بعض الحكماء ، على أن الاداب اللازمة لصلاح المجتمع لا ينفرد بتقريرها الدين ، وليست بقاصرة على شريعته ، لان حياة الناس لها جانب مدنى ، أى سياسى ، وكما أن للدين أدبا يتمثل فى شريعته فان للسياسة هى الاخرى آدابا ، وأدب الشريعة يدعو الانسان لاداء الفروض ، ويجعله عادلاً مع نفسه ، بينما يختص الادب السياسى بعمارة الدنيا وزينتها ، والتخلق به يجعل الانسان عادلا مع الآخرين ... ذلك أن « **الادب أدبان : أدب شريعة ، وأدب سياسة ، فادب الشريعة : مـــا ادى**

(١) (الاقتصاد فى الاعتقاد) ص ١٣٥ طبعة صبيح ، القاهرة .

الغرض ، وأدب السياسة : ماعمر الارض .. ومن ترك الغرض فقد ظلم نفسه ، ومن خرب الارض فقد ظلم غيره ! .. »

وينبه الماوردى الى أن الادبين « كلاهما يرجع الى العدل » ــ الذى هو القاعدة الثالثة من قواعد الاصلاح ــ لان العدل هو الشرط لتحقق « سلامة السلطان وعمارة البلدان » ..

والقاعدة الثانية : السلطان القاهر :

والسلطان القاهر ، عند الماوردى ، هو السلطة القوية المهابة ، لا بمعنى المستبدة الجائرة ، اذ العدل عنده ، كما قدمنا وكما سنذكر ، هو الاساس .. وانما بمعنى السلطة التى توفر لاهل العمل والصلاح وللانسان الخير فى المجتمع أن ينمى قدراته وملكاته ويزيد من ثمرات أعماله ، وذلك بتوجيه القوة والهيبة ضد الفئات والافراد الجانحة الى الظلم والاجرام والانحراف عن قواعد العدل وأسس الاصلاح ..

فعلى السلطة ان تعمل على التاليف بين التيارات والاهواء المختلفة والقلوب المتفرقة ، وأن تأخذ على أيدى المتغلبين والمتعادين ، وأن تهذب أو تكبح الجامح من الغرائز كى لا يجلب الاضرار ..

وفى حديث الماوردى عن السلطة والسلطان ينبه الى دور العقيدة الدينية فى بناء الدول عند نشأتها ، ويتحدث عن اسهام الدين فى تاليف قلوب الجماعة التى تبنى دولتها الواحدة ، وكيف « أن السلطان ان لم يكن على دين تجتمع به القلوب ، حتى يرى أهله الطاعة فرضا ، والتناصر عليه حتما ، لم يكن للسلطان لبث ــ « أى دوام » ــ ولا لايامه صفو ، وكان سلطان قهر ومفسد دهرا .. » .. وهذه لمحة ذكية من مفكر فى عمران المجتمعات وقيام دولها ، تنبىء عن المكانة العالية التى احلها للفكر والنظريات والعقائد بين الاسس الضرورية لبناء السلطة والسلطان فى أى مجتمع من المجتمعات .. والماوردى بفكرته هذه يسبق ابن خلدون « ١٣٣٢ ــ ١٤٠٦م » الذى تحدث هو الاخر عن هذه القضية فى مقدمة تاريخه (١) ..

والقاعدة الثالثة : العدل الشامل :

والعدل عند الماوردى مأخوذ من « الاعتدال » ، فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل ــ كما نقول فى الموقف السليم أنه الوسط المعتدل بين الافراط والتفريط ــ وهو عنده ، وبعبارته : « احدى قواعد الدنيا التى لا انتظام لها الا به ! .. » .. ولهذا كانت قاعدة العدل سببا تتوقف عليه

(١) (المقدمة) ص ١٢٤ ، ١٢٥ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ .

أشياء عديدة هي من ضرورات الصلاح للمجتمعات .. فالالفـــة والتآلف مرجعهما الى العدل ، اذ أن الظلم والمظالم تمزق الجماعات والمجتمعــات .. والطاعة من المحكومين لحكامهم لا تتأتى الا فى المجتمع العادل ، لان الظـــلم يوجد الانقياد الجبرى ، أما الطاعة الاختيارية ـ ولا بد أن تكون اختيـــارية كى تسمى طاعة ـ فلا مكان لها فى البيئات التى يسودها الظلم ويتســـلط عليها الظلمة .. وعمران البلاد .. ونمو الاموال .. وكثرة النسل .. بل وقيام الامن لصاحب السلطة والسلطان .. كل ذلك موقوف على قيـــام العدل بين الناس ..

والعدل الذى عناه الماوردى هنا ليس لفئة أو قلة أو طائفة ، لانه يقيـــده بقيد : « الشامل » ! أى العام بين الجميع ..

ثم هو يقسم العدل الى قسمين ـ فهناك عدل الانسان مع نفســـه ، فلا يظلمها برضاه عن ظلمها ، ولا يرضى لها تجاوز حدود الاعتدال .. وهنـــاك عدل الانسان مع من سواه .. عدله مع من هم أدنى منه ، كالحـــاكم مـــع المحكوم ، والرئيس مع المرءوس ، باتباع الامور الميسورة ، واجتناب ماهـــو عسير ، والبعد عن التسلط بالقوة ، والتخلق بالحق فى السيرة والسلوك ..

وهناك عدل الانسان مع من فوقه ، كالمحكوم مع حاكمه العـــادل ، والصحاب مع رئيسهم ، وهو يتحقق باخلاص الطاعة ، وتقديم أسباب النصر ومقوماته ، وصدق الولاء ..

وهناك ، أخيرا ، عدل الانسان مع أقرانه وأنداده ، وهو يتحقق بالامتناع عن الاستطالة والاستعلاء ، والبعد عن الاذلال والمن ، وكف الاذى والضرر عن هؤلاء الاقران ..

ويخلص الماوردى الى الحديث عن المضار التى تنجم عن تنكب طـريق العدل والانحراف عن هذه القاعدة الرئيسية من قواعد الصلاح والاصـــلاح ، فيقول : **« .. ولست تجد فسادا الا وسبب نتيجته الخروج فيه عن حال العدل الى ماليس بعدل ، من حالتى الزيادة والنقصان .. فاذن : لا شىء أنفع من العدل ، كما أنه لاشىء اضر مما ليس بعدل ! »**

والقاعدة الرابعة : الامن العام :

والماوردى يشترط لتحقيق قاعدة الاصلاح هذه أن يكون أثرها عاما وشاملا للجميع ، لان للامن عنده أهدافا ولقيامه ثمرات ، ذلك أن آثاره لا تقف عند طمأنة الناس واطمئنانهم ـ وهى فى ذاتها هامة ومطلوبة ـ بل تتعدى هذه الطمأنينة ، التى هى بدورها ـ عند الماوردى ـ ذات أثر فعال فى الحيـــاة المادية لمجتمع الانسان الامن ..

فاذا تحققت ، بالامن ، الطمانينة للنفوس ، انبعثت وانتشرت الهمم والطاقات الكامنة فى الناس تبحث عن تحقيق ذوات أصحابها فى مختلف الميـــادين والمجالات .. وحلت السكينة بنفس الانسان البرىء ، وخفف الامن مـــن الاحساس بالضعف لدى الضعيف ، فنمت بذلك أسباب الثروة والقـوة فى هذا المجتمع الامن ، ذلك « لان الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن تصرفهم ، ويكفهم عن أسباب المواد ـ « الثروة » ـ التى بها قـوام اودهم ، وانتظام جملتهم ! ..»

وعند الماوردى أن قاعدة الامن ، هى الاخرى ، فى كثير من جوانبها نتيجة من نتائج قاعدة العدل ، كما أن « الجور من نتائج ماليس بعدل ! .. »

والقاعدة الخامسة : الخصب الدار :

أى مصادر الخصب والنماء المادى التى تدر الخيرات فى المجتمع المطلوب له الصلاح والاصلاح ..

والماوردى يحدد مصادر هذا الخصب فى مصدرين :

١ ـ المواد الاولية : وأغلبها يأتى من الاسباب الالهيـة ، وعمـــل هـــذه الاسباب وآثارها فى الطبيعة ، فلا دخل فيها لارادة الانسان ، من حيـث الايجاد ، اللهم الا من حيث العدل الانسانى ، اذ فى ظلال العدل تنمو هـــذه المواد الاولية ، بينما تلحق أضرار الجور والظلم حتى موارد الطبيعـــة وموادها ! ..

٢ ـ المكاسب : المتمثلة فى الجهود والاعمال التى يبذلها الناس فى هـــذا المجتمع ، وبها يتم التشكيل والتصنيع والتجميل ، وكذلك التنمية للموارد التى أفاضها الخالق فى الطبيعة لاجل الانسان ..

وعند الماوردى : ان هذا الخصب ، المتمثل فى ثروة المجتمـــع ، طبيعية وانسانية ، يجب أن تعم ثمراته وتشمل مجموع الناس ، لا أن تســـتأثر به قلة منهم كائنة من كانت ، وعن طريق التكافل والمساواة يتم تعميم هـــذه الثمار .. وبعبارته هو ، فان هذا الخصب يجب أن « تتسع النفوس به فى الاحوال ، ويشترك فيه ذوو الاكثار والاقلال » .

وهذا الخصب ، الذى هو ثروة مادية ، ينبه الماوردى الى أن له آثارا خلقية وسلوكية فى حياة الناس اذا هو عم الجميع ، فهنا تلعب الثروة دورا فى تقويم السلوك والرقى بقواعد الاخلاق فى المجتمعات ، لان الاشتراك فى الثروة بين « ذوى الاكثار والاقلال » ينشأ عنه أن « يقل فى الناس الحسد ، وينتفى عنهم تباغض العدم ـ « أى حقد ونفضاء المعدمين » ـ وتتســـع النفوس فى التوسع ، وتكثر المواساة ـ « المساواة والمعاونة والمساهمة » ـ والتواصل ، وذلك من أقوى الدواعى لصلاح الدنيا وانتظام أحوالها » ..

ثم يحمل الماوردى وجهة نظره هذه عندما يحدد **أن الغنى الحق هو الذى تنبعث عنه آثار طيبة فى أخلاقيات الامة ، فيقول معللا : ((.. لان الخصب يئول الى الغنى ، والغنى يورث الامانة والسخاء ! ..))**

والقاعدة السادسة : الامل الفسيح :

وبحديث الماوردى عنها يضع يدنا على لمحة من لمحات عبقريته الفكريه .. فهو يريد للمجتمع شبابا دائما لايعرف اليأس ولا القنوط ، ولا يقع فريسة ((للقناعة)) اذا ماتعلق الامر بالتقدم والطموح والبناء والتجديد والاختراع ..

فلابد لبناة المجتمع من أمل يدفع أهله لمواصلة البناء ، ولابد أن يكون هذا الامل فسيحا حتى يتخطى بهم حدود حاجاتهم الانية ومستلزمات حياتهم القصيرة ، فهم يعملون عمل الخالدين ، لانهم ، وان قصرت بهم الاعمار عن الخلود ، بمثابة قطرات فى بحر الحياة الخالد دائما وأبدا ، وهم بالعمل الذى ينميه الامل يحققون لهذه القطرات فى هذا البحر مقومات الخلود !

ولولا هذا الامل لما كتب الاقدمون لقراء جاءوا بعد عصرهم بقرون وقرون ، ولما أبدع المبدعون تلك الاثار الخالدات على مر الدهور ، ولما غرس الشيخ الفانى غراسه الذى يعلم يقينا أن ثمراته لن يحين قطافها الا بعد رحيله عن هذه الحياة .. فالكل يعطى ، ولسان حاله يقول : أعطى من قبلنا ، فنعمنا ، فلنعط نحن ، لينعم من يأتى من بعد .. فذلك هو الشرط الضرورى لاستمرار وعمران الحياة .. وهو شرط لايتحقق الا بالامل الفسيح ! ...

وبعبارات الماوردى فان هذا الامل الفسيح هو الذى ((يبعث على اقتناء مايقصر العمر عن استيعابه . ويبعث على اقتناء ماليس يؤمل فى دركه بحياة أربابه ، ولولا أن الثانى يرتفق بما أنشأه الاول ، حتى يصير به مستغنيا ، لافتقر أهل كل عصر الى انشاء مايحتاجون اليه من منازل السكنى ، وأراضى الحرث ، وفى ذلك من الاعواز وتعذر الامكان بالاخفاء به ، فلذلك ما أرفق الله تعالى خلقه من اتساع الامال حتى عمر الدنيا ، فتم صلاحها ، وصارت تنتقل بعمرانها الى قرن ـ ((جيل)) ـ بعد قرن ، فيتم الثانى ما أبقاه الاول من عمارتها ، ويرم الثالث ما أحدثه الثانى من شعثها ، لتكون أحوالها على الاعصار ملتئمة ، وأمورها على ممر الدهور منتظمة . ولو قصرت الامال ، ماتجاوز الواحد حاجة يومه ، ولا تعدى ضرورة وقته ، ولكانت تنتقل الى من بعده خرابا .. ثم تنتقل الى من بعده بأسوأ من ذلك حالا ، حتى لاينمى بها نبت ، ولا يمكن فيها لبث ! ..))

وصدق رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اذ يقول : اذا قامت الساعة وفى يد أحدكم غرسة فليغرسها . ان هو استطاع ؟! ..

هكذا عرض الماوردى قواعده الاصلاحية الست ، التى رآها ضرورية

لصلاح أحوال الدنيا وانتظام أمورها .. وذلك عندما خاطب الانسان فى كتابه « أدب الدنيا والدين » قائلا : « اعلم أن ماته تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة وامورها ملتئمة ، ستة أشياء .. وهى : دين متبع .. وسلطان قاهر .. وعدل شامل . وأمن عام . وخصب دائم . وأمل فسيح ! . فان كملت فيها كمل صلاحها (١) .. » !

المصادر المادية لحياة الانسان

من السمات البارزة التى تميز بها الفكر الاسلامى : سمة الموقف المتوازن الذى اتخذه فى العديد من القضايا والمشكلات بين موقفين مغرقين فى التطرف ومن ثم ملتقيان على الخطأ والفساد !

وليس مبعث هذا الموقف المتوازن فى الفكر الاسلامى هو التلفيق بين المتناقضات ، ولا ((الوسطية)) ، بمعنى الهروب من مواجهة جوهر المعضلة واغماض الاعين وتعطيل العقول عن العمل لايجاد الحلول ، ولا مبعثه كذلك التقليد للقاعدة التى أرساها أرسطو : عن أن الفضيلة هى وسط بين رذيلتين !..

ذلك أن هذا الموقف المتوازن الذى اتسم به الفكر الاسلامى حيال قضايا عديدة ، منها مثلا : المادة والروح ، و : الفرد والجماعة ، و : الحرية والمسئولية ((الضرورة)) .. الخ .. الخ .. ان هذا الموقف انما ينبع من نظرة واقعية وادراك تجريبى علمى لما بين هذه ((الاقطاب)) من علاقات ، فالفكر الاسلامى يدرك ويؤكد ، ويؤسس نتائجه ، على حقائق ترى ان وجود تناقض بين هذه المحاور والاقطاب لا يعنى انتفاء العلاقات بينها ، فالعلاقات والروابط قائمة ، بل وكثيرة الى الحد الذى يجعل استقلال طرف منها أو انفراده دون الاخر هو أمر داخل فى نطاق المستحيلات ، ولذلك فان النظرة الواقعية المقدرة لقدر هذه العلاقات وخطرها تزكى اتخاذ الموقف الذى يوازن بين هذه المحاور ، ويتخذ منها جميعا ، بالتوفيق ـ لا التلفيق ـ موقفا وسطا ـ اى حقا ، يضمن البعد عن التطرف الخاطىء فى اى اتجاه من الاتجاهات ..

ولقد كانت العلاقة بين المادة والروح احدى ، الميادين الفكرية التى أتخذ فيها الفكر الاسلامى موقفه المتوازن بين طرفى الصراع ، فهو قد رفض تعذيب الجسد لحساب تنمية الروح ، ومن ثم رفض الاغراق فى الزهد ، وعزف عن الرهبنة ، وطلب الى رهبان الليل أن يكونوا فرسان النهار !. وادخل العمل والكد والجهاد فى اطار الشعائر والعبادات ! .. وهو ، ايضا ، رفض الشهوانية المادية ووضع القيود والحدود التى تهذب الغرائز الحيوانية

---

(١) ص ١٣٥ ـ ١٣٨ ، ١٤١ ـ ١٤٧ . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م .

وأباح لهذه الغرائز طرقا ومسالك ، تستفرغ بعض طاقاتها وتتسامى ببعضها الاخر .

ولقد نبه القرآن الكريم ، فى مواطن كثيرة ، الى هذا الموقف المتميز ، وقدمه على أنه الموقف الوحيد المتفق مع « الطبيعة » التى خلق عليها الانسان: « وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وماكانوا خالدين (١) .. ومن هنا دخلت مباحث الحياة المادية للانسان المسلم ، وللانسان عموما ، دائرة الدراسات الاسلامية ، ورأينا فقهاء الاسلام ومشرعى قوانينه يطرقون من مباحث هذا الحقل ماظل دائما ، فى الحضارات الاخرى ، غريبا عن مباحث مثل هؤلاء الرجال .. **ففقهاؤنا ومشرعونا ليسوا رجال دين ، يقتصر اهتمامهم على مباحث الروح او الاخلاق ، لان ديننا لايعرف للدين رجلا يختص به ، وانما عرفت حضارتنا علماء فى الدين وفى الدنيا معا .. ومباحث هؤلاء الفقهاء والمشرعين فى الجوانب المادية للحياة لا تاتى ولا تساق بمعزل عن فكرهم الدينى ، لان الادراك لعلائق الطرفين قد أثمرت فكرا واقعيا زواج بينهما عندما استخدم أصحابه المنهج العلمى الذى ربط الظواهر ونظر للقضايا من كل الزوايا وعلى ضوء ما اكتنفها من عوامل ولابسها من ظروف .**

وفى مجال التطبيق ، وضرب الامثلة ، سنجد الكثير والكثير .. وسنجد ، أيضا ، من بين هذا الكثير ذلك الموقف الذى تناول به مفكر ومشرع وفقيه أسلامى عملاق ، مثل أبى الحسن الماوردى ، على بن محمد بن حبيب « ٣٦٤ ــ ٤٥٠ هـ ٩٧٤ ــ ١٠٥٨ م » البناء المادى فى المجتمع ، ومصادر الثروة ، الطبيعى منها والانسانى ، والوسائل الانسانية لتنمية هذه الثروة ، وترتيب هذه الوسائل ، من حيث الشرف والرفعة ، ثم حدود مطامح الانسان وآفاق مطامعه فى حيازة الثروات ، وأيها مشروع ؟ وأيها يتجاوز نطاق المشروع ؟!.. بل وأيها يقل عن المشروع ؟!..

ونحن نستطيع ــ كى نضع يدنا على تصور الماوردى هذا ــ أن نسير مع فكره فى تسلسل يكتمل لنا باكتمال حلقاته هذا التصور .. ولعل أفضل سبيل لذلك هو أن نقدم فكرة فى عدد من النقاط :

١ ــ **دور الطبيعة** : عند الماوردى أن دور الطبيعة ، فى ميدان الحياة المادية للانسان ، أى ثروته واقتصاده ــ بلغة عصرنا ــ هو دور من يقدم « المادة الخام » « الاولية » ، ويضع « الاسباب » التى تنتظر « الطلب » و (الكسب) والجهد الانسانى الذى يخرجها من دور الى دور ومن حال الى حال ..

٢ ــ **ودور الانسان** : أما دور الانسان فيسميه « الطلب » بمعنى السعى والكسب والعمل الذى يستثمر المادة الاولية ويصوغها وفقا للاحتياجات ..

---

(١) الانبياء : آية رقم (٧) .

وأداة الانسان الاولى فى سعيه هذا هى : العقل ، فهو سبيل الانسان الى تحصيل المادة وصياغتها من جديد ..

وأيضا فان أسباب هذا التحصيل وسبل تلك الصياغة هى متعـددة ومتنوعة ، فالانسان لا يلبى احتياجاته المادية بنمط انتاجى واحد ، بل تتعدد لديه مصادر الرزق وتتنوع عنده الحرف وسبل الانتاج .. وهذا التنوع لا يجب أن يكون سبب فرقة بين الذين يحترفون هذه السبل ، بل يجب أن يكون سبب ائتلاف ، فللائتلاف كان التنوع وللتكامل كان التعدد ، لا التناقض والتناحر والاختلاف !..

تلك هى قاعدة الحياة المادية للانسان ، وعلى سلامتها تقوم سلامة دنياه ، بل وسلامة دينه أيضا ! .. يقول : **ان « من أسباب الالفة الجامعة : المادة الكافية ، لان حاجة الانسان لا زمة ، لا يعرى منها بشر ، قال الله تعالى : ((وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام وما كانوا خالدين)) . فاذا عـدم المادة ، التى هى قوام نفسه ، لم تدم له حياة ، ولم يستقم له دين ، واذا تعذر شىء منها عليه ، لحقه من الوهن فى نفسه ، والاختلال فى دنياه ،بقدر ماتعذر من المادة عليه ، لان الشىء القائم بغيره يكمل بكماله ، ويختـل باختلاله .. وأسباب المادة مختلفة ، وجهات المكاسب متشعبة ، ليـكون اختلاف اسبابها علة الائتلاف بها ، وتشعب جهاتها توسعة لطلابها .. هداهم اليها بعقولهم ، وارشدهم اليها بطباعهم .. حكمة منه سبحانه وتعالى .. »**

٣ ــ **مصادر المادة** : أما المصادر التى تمثلت فيها مادة الطبيعة الاولية ، فانها ــ على عصر الماوردى وفى تراثه ــ قائمة فى النبات ، والحيوان .. اى فى النبات الذى ينمو نموا ذاتيا لا دخل فيه لجهد الانسان ، وكذلك الحيوان البرى الذى لايدخل فى تربيته عمل الانسان .. فهما مصدران طبيعيـان يندرجان تحت « فيض » الخالق ويتميزان عن « كسب » الانسان ..

٤ ــ **وكسب الانسان** : يضيف الى مصادر المادة ، تارة بالخـلق وأخرى بالتنمية والتحسين .. فهو ينمى ويحسن النبات يجعل « الزراعة » صناعة تقوم على الجهد الانسانى والفكر المنظم ، بعد أن وقفت بها الطبيعـة عنـد مادتها الاولى ومستواها الذى لم يعد كافيا لتلبية احتياجات الانسان ..

وهو ينمى ويحسن كذلك « الحيوان المتناسل » ، مستخدما الاصـول والهبات التى قدمتها له الطبيعة فى هذا الميدان ..

ثم هو يضيف الى مصادر الطبيعة هذه مصادر أخرى ترتبط بها ، وذلك عندما ينشىء : « التجارة » و « الصناعة » فتصبح بذلك حرفة وصنائعه ومصادر حياته المادية اربعة :

أ ــ **الزراعة** .. التى أصبحت ، بمادتهـا الطبيعية وجهد الانسان فيها ، صناعة ، بعد أن كانت مجرد مادة أولية محدودة ..

ب ــ **والحيوان** : الذى أضاف العمل الانسانى الى ثروته وقيمته الاولية كما وكيفا جديدا ، فأصبحت تربيته صناعة أيضا ..

جـ ــ **والتجارة** .. التى أنشأها الانسان مستخدما فى انشائها مواد الطبيعة واضافاته اليها ، ثم جهده فى المبادلة والتنظيم ..

د ــ **والصناعة** .. التى تعددت حرفها وكثرت مجالاتها ، وتنوعت أسماؤها .. والتى نشأت لتلبى الحاجات وتطور الحياة ..

هكذا يرسم الماوردى هيكل الحياة المادية والاقتصادية لمجتمعه وعصره ، فيقول : « .. فأما المادة فهى حادثة عن اقتناء أصول نامية بذواتها . وهى شيئان : نبت نام ، وحيوان متناسل .. وهى أصول الاموال ، وأما الكسب فيكون بالافعال الموصلة الى المادة والتصرف المؤدى الى الحاجة ، وذلك من وجهين : أحدهما : تقلب فى تجارة ، والثانى : تصرف فى صناعة ، وهذان هما فرع لوجهى المادة . فصارت أسباب المواد المألوفة ، وجهات المكاسب المعروفة ، من أربعة أوجه : ثمار زراعة ، ونتاج حيوان ، وربح تجارة ، وكسب صناعة .. »

هـ ــ **مصادر المادة وأصناف الناس** : وبعد ذلك يتحدث الماوردى عن ارتباط كل مصدر من مصادر الحياة المادية هذه ببيئة معينة واختصاصه بطبقة أو فئة من الناس ..

أ ــ **فالزراعة** : هى المصدر الاول لحياة الانسان المتحضر ، أى غير البدوى لانها ترتبط بالاستقرار وبناء القرى والامصار ، ومن ثم فانها تمثل تطورا متقدما ومتحضرا فى سلم التقدم الانسانى اذا ماقيست بحياة البدو والبداوة ... ثم ان نفعها أعم ، لان ثمراتها تتعدى حدود من يمارسها لتشمل كل الناس .

ب ــ **والانتاج الحيوانى** .. هو مصدر الحياة لسكان البادية ــ على عهد الماوردى ــ ومن يعيشون فى الخيام ، لان سهولة تنقل الحيوان جعلته الانسب لحياة الرجل الذين لايقر لهم قرار ، كما ناسبت قلة حاجاته ، وايضا نوع انتاجه ، الطابع الفقير والجاف لحياة البدو فى الصحراء ..

جـ ــ **اما التجارة** .. التى هى فرع تفرع عن الزراعة والانتاج الحيوانى معا ، فان الماوردى يقسمها الى قسمين ، وذلك من حيث شرفها ونفعها للناس .. فهى اذا كانت فى الحواضر والامصار ، وتمت بلا انتقال أو مخاطرة فهى غالبا ماتعتمد ، فى الربح ، على تحين الفرص ، وادخار السلع حتى تشح فيرتفع ثمنها ، أو جمعها من الاسواق واحتكارها حتى ترتفع أسعارها .. ومثل هذه التجارة ضارة ، والاحتراف بها احتراف لمهنة رديئة ، ولذلك

« فقد رغب عنها ذوو الاقدار ، وزهد فيها ذوو الاخطار ! » .

أما اذا جاء ربح التجارة من السفر والمخاطرة ، فان سبب الربح عندئذ يكون مشروعا ، واحترافها ، لذلك ، يكون مرغوبا « وهذا أليق بأهل المروءة رأعم جدوى ومنفعة » للناس !

د ـ اما عن الصناعة .. والتى تتعلق بمواد : الزراعة ، والحيوان ، والتجارة .. فان شرفها ، ومن ثم شرف العاملين بها يرجع الي مكان « الفكر » فيها ، ودوره فى خلق ثمراتها وتطور وسائلها ؟! ..

فالماوردي يحدثنا عن أن الصناعة تعتمد على عنصرين رئيسيين يقدمهما الانسان كي تكون لديه صناعة من الصناعات .. عنصر : الفكر ، وعنصر : العمل والجهد البدنى .. وعلى ضوء العلاقة بين هذين العنصرين ، ووفق النسب التى تحدد قدر كل منهما للاخر ، جاء تقسيم الماوردى للصناعة ، وجاءت فروع كل قسم من أقسامها ..

فهى عنده ثلاثة أقسام :

أ ـ صناعة فكر : .. سادتها الفكر ، ولا علاقة لاهلها بممارسة « العمل » « البدنى واليدوى » ـ كما نقول .. وهذه الصناعة « الفكرية » منها مايقف عند « الافكار النظرية » .. ومنها مايختص بالنتائج التى تؤدى اليها هذه الافكار النظرية ! « فالمفكر » السياسى ، هو من النوع الاول .. و « المشتغل» بالسياسة ، هو من النوع الثاني .. فالاول ـ بعبارة الماوردى ـ : « ماوقف على التدبيرات الصادرة عن نتائج الاراء الصحيحة ، كسياسة الناس ـ وتدبير البلاد .. » والثانى : هو المشتغل « بما أدت اليه المعلومات الحادثة عن الافكار النظرية .. »

ب ـ وصناعة عمل : . وهى التى يمارس أهلها بذل « الجهد البدنى » فى صناعتهم .. وتنقسم ، هى الاخرى ، الى قسمين ، وفق مقدار الفكر والعلم والتعلم فيها .. فمنها ماهو : « عمل صناعى » .. ومنها ماهو « عمل بهيمى » .. والذى رفع قدر « العمل » الاول هو اعتماده واسترشاده بالفكر والعلم ، والذى هبط « بالعمل » الثانى الى الحد الذى وصف معه « بالبهيمى » ، هو تجرده من الفكر ، واقتصاره على الجهد البدنى الذى يستوى فيه الحيوان ، حتى غير الناطق منه ! .. فالعلم والفكرة والمعرفة ليست فقط مصادر لتنمية ثمار الصناعة ، بل ومقباس لشرفها ، عند الماوردى ، الذى يقول : ان « العمل الصناعي هو الاعلى رتبة ، لانه يحتاج الى معاطاة فى تعلمه ، ومعاناة فى تصوره ، فصار بهذه النسبة من المعلومات الفكرية . . أما العمل البهيمى فهو صناعة كد ، وآلة مهنة .. تقتصر عليها النفوس الرذلة ، وتقف عندها الطبائع الخاسئة ! ... »

ج ـ أما الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل : .. والتى هى « حرف » يتجاوز فيها « الفكر » و « العمل » ، فهى تنقسم ، أيضا ، الى قسمين ، تبعا لنسبة الفكر الى العمل لدى أصحابها .. فحرفة « الكتابة » أى كتابة الدواوين ـ مثلا تعلو مرتبتها على حرفة « البناء ، لان دور الفكر فى « الكتابة الديوانية » أكبر وأخطر من دوره عند من يحترف صناعة « البناء » ..

واذا كانت حياة الناس المادية ، وتقسيم العمل فى مجتمعاتهم قد تطلبت ذلك التنوع ، فان التكامل والائتلاف هو الغاية ، لا التنافر والاختلاف .. فالله سبحانه قد أراد ذلك للناس « فى طلب مكاسبهم .. ليكون ذلك سببا لالفتهم » ..

٦ ـ الانسان .. وحيازة الثروة : وأخيرا .. وبعد أن عرض الماوردى لمصادر ثروة المجتمع ، وفضل الطبيعة فيها ، ودور الانسان فى التحسين والتنمية ، ومكان الصناعات من الفكر ، وتوزيعها على أهلها .. بعد ذلك كله عرض لقضية هامة تتعلق بنصيب كل انسان من هذه الثروة ، ومقدار ماتجوز له حيازته ، الامر الذى تتفاوت فيه مذاهب الناس ، ومن ثم تتفاوت بسببه الاوصاف والنعوت التى يطلقها الماوردى على أهل هذه المذاهب والمواقف والاراء ..

ومفكرنا الماوردى ينطلق هنا ، أيضا ، من موقف المفكر الواعى بضرورة الموازنة بين حاجات الفرد وحاجات الاخرين .. ومن ثم كان المعيار الذى حدده المذهب الذى يحبذه فى حيازة **الثروة هو معيار « الحاجة والكفاية »** .

أ ـ فمن الناس من يطلبون من الثروة قدر « الكفاية والحاجة » .. وهؤلاء هم أصحاب الموقف الامثل .. لانهم أصحاب الموقف « المتوسط » بين الافراط والتفريط .. فهم ايجابيون ، يطلبون حظهم من ماديات الحياة وهم لا يتجاوزون فى طلبهم هذا حدود الكفاية والحاجة ، ومن ثم لا يتجاوزون حدود الاعتدال .. والماوردى يمتدح هذا الموقف ، ويسنده بالسنة النبوية وبالحكم المأثورة .. فيقول : **ان حال من يطلب من « أسباب المواد وجهات الكسب قدر كفايته ، ويلتمس وفق حاجته ، من غير ان يتعدى الى زيارة عليها ، أو يقتصر على نقصان منها ، هى احد احوال الطالبين ، وأعدل مراتب المقتصدين ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : أوحى الله تعالى الى كلمات ، فدخلن فى أذنى ، ووقرن قلبى :**

من أعطى فضل ماله فهو خير له ، ومن امسك فهو شر له ، ولا يلوم الله

على كفاف » .. وحكى عن ابن المعتمر السلمى ، قال : الناس ثلاثة اصناف : أغنياء ، وفقراء ، وأوساط . فالفقراء : موتى ، الا من اغناه الله بعز القناعة ، والاغنياء سكارى ، الا من عصمه الله تعالى بتوقع الغير ـ « بكسر الغين وفتح الياء : المتغيرات والحوادث » ـ وأكثر الخير مع اكثر الاوساط ، وأكثر الشر مع اكثر الفقراء والاغنياء ، لسخط الفقير وبطر الغنى ! » ..

هذا عن الذين **يطلبون** « الكفاية والحاجة » ..

ب ـ ومن الناس من **لا يطلبون** الكفاية ، ولكنهم **يقنعون** بالكفاية ،ويتركون « **الفضول** » اى الزيادة عن كفايتهم ، وهم يشتركون مع أصحاب الموقف الاول فى الوقوف عند حدود « الكفاية » ، ولكنهم لا يتساوون معهم فى الشرف لان الاولين عملوا وطلبوا الكفاية ، أما هؤلاء فانهم لم يعملوا ولم يطلبوا ، بل جاءتهم الثروة اتفاقا ، فاكتفوا منها بقدر كفايتهم ، ولذلك كانوا ـ لكونهم غير عاملين ـ أدنى مرتبة من الاولين .. فهم وسط ! وموقفهم هو الموقف الاوسط !

جـ ـ ومن الناس من يقصرون فى تحصيل اسباب المواد ويديرون ظهورهم لجهات الكسب والتكسب ، فلا يحصلون كفايتهم ولا يحصلون على حاجاتهم ، وهم يعللون قصورهم وتقصيرهم بالكسل ، أو التواكل ، أو الزهد فى الدنيا وماديلتها .. وهؤلاء ، عند الماوردى ، هم أهل العجز والحرمان .. فهم عجزة عن الوفاء بسنة الله فى خلقه ، وهم بذلك قد حرموا أنفسهم طيبات هذه الحياة ..

د ـ ومن الناس من هم أدنى مرتبة من متعمدى الزهد والتواكل هؤلاء .. أولئك هم الذين لايسلكون سبيل التخطيط لحياتهم المادية وعلاقتهم بالثروة ووجوه الكسب ، بل يقفون عندما يأتيهم ، قل أو كثر ، ويكتفون بما سنح لهم من مواد الحياة .. ومنزلة هؤلاء .. عند الماوردى ، هى أدنى منازل القانعين !

هـ ـ واخيرا .. فهناك من يطلبون من الثروة والمادة ووجوه الكسب مايزيد عن كفايتهم وحاجتهم .. وجميع هؤلاء مذموم ، فى نظر الماوردى ، ولكن درجاتهم ومنازلهم تتفاوت تبعا لمقاصدهم من طلب الزيادة عن الكفايات ..

● فمن يطلب الزيادة عن كفايته وحاجته لشهوة .. كان فى المرتبة المذمومة من بين فرقاء هذا الصنف ، لانه « ليس للشهوات حد متناه » تقف عنده ،

الامر الذى يجعل من تقوده شهواته الى جمع المزيد كمثل ((البهيمة التى قد انصرف طلبها الى ماتدعو اليه شهواتها ، فلاتنزجر عنه بعقل ، ولا تنكف عنه بقناعة .. ! ..))

● **ومن يطلب الزيادة عن كفايته وحاجته كى ينفقها فى وجوه الخير .. هو الوحيد المعذور من بين طالبى الزيادة عن الكفايات والحاجات .**

● **ومن يطلب الزيادة كى يدخرها لورثته ، فهو الشقى ! .. ((شــقى بجمعها ، مأخوذ بوزرها ، قد استحق اللوم من وجوه لا تخفى على ذى لب !)) .. كما يقول الماوردى ..**

● **اما صاحب الموقف الاسوأ بين طالبى الزيادة عن الكفاية ، فهو ذلك الذى يجمع المال حبا فى جمعه .. فمن ((يجمع المال ، ويطلب المــكاثرة ، استحلاء لجمعه ، وشغفا باحتجانه ـ ((الاستثمارية)) ، فهذا أسوأ الناس حالا فيه ، وأشدهم حرمانا له ! ..)) لانه غالبا مايحرم نفسه حتى مــن حدود كفايته وحاجته (١) !..**

هكذا عرض الماوردى تصوره لحياة المجتمع المادية .. مصادرها .. وسبل الكسب والعمل فيها .. ومقادير الفائدة منها والشرف فيها .. وكــذلك للحدود التى يجب أو يحسن بالانسان أن يقف بمطامحه عندها .. وهــو بذلك ، قد برهن على أصالة المنهج العلمى فى تراث العرب المسلمين ، ذلك المنهج الذى جعل أسلافنا يضعون دراساتهم لحياة المجتمع المادية ، ومصادر انتاجه ، وعلاقات المنتجين لثروته ، يضعونها ضمن تصور الاسلام ، كدين وحضارة ، لكل مايخص الانسان ويتعلق به من شئون ..

كما برهن على وضوح الموقف المتوازن الذى ميز فكر هذه الحضارة حيال القضايا التى تطرف حيالها اطراف ابتعد بهم تطرفهم عن المــوقف العلمى الصحيح !

●

---

(١) انظر فى فكر الماوردى حول تلك القضايا كتابه (ادب الدنيا والدين) ص ٢٠٨ــ ٢٢٤ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣م .



● فى الفن والثقافة :

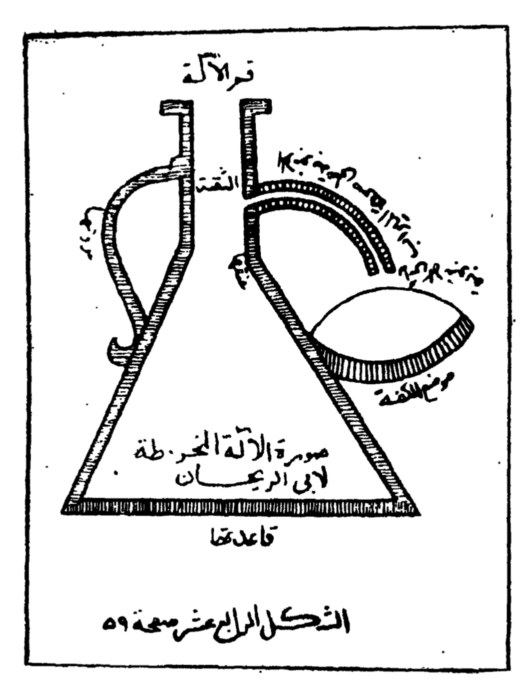
● شريط الأنباء ●

علماء الشرق القدامى

بقلم : ديمتري أوسيبوف

اصدرت دار نشر « ناأوكا » بموسكو كتابا بعنوان « الميكانيكا وعلم الفلك فى الشرق فى القرون الوسطى » . وعلى غلاف هذا الكتاب رسم تخطيطى لميكانيزم ميزان دقيق عليه شرح بالخط العربى الزخرفى . وهذا الكتاب مكرس لمرحلة فى تاريخ العلم العالمى لم تحظ بالدراسة الوافية ، فالمعلومات الادبية المتوفرة والمخطوطات الاصلية التى يرجع تاريخها الى القرون ٩ ـ ١٤ ، تتضمن قوانين وأصول علمى الميكانيكا والفلك فى الشرق فى القرون الوسطى . « ان تاريخ العلم فى القرون الوسطى » كما كتب مؤلفا الكتاب أشعرت جريجوريان ومريام روجانسكايا ، « يرتبط ، او بتعبير ادق ، كان يرتبط الى عهد قريب ، بمجال من اقل المجالات دراسة فى تاريخ الثقافة العالمية » .

وبالفعل ، فان دراسة هذه الفترة تصطدم بصعاب محددة . أولا ، ليس فى حوزة الباحثين سوى عدد محدود من المصادر ، اذ ان شطرا كبيرا منها قد فقد خلال الحروب الاستعمارية ، نظرا لان السلطات الاستعمارية لم تكن ترى ، كقاعدة ، اية قيمة فى التراث التاريخى للشعوب المستعمرة . ومن ثم لم تعمل على الاطلاق على المحافظة على ثقافتها وفنونها وعلومها . وهذا هو السبب فى انه قد خيم النسيان ليس فقط على عناوين الدراسات ، ولكن ايضا على أسماء الكثيرين من اكبر علماء الشرق فى القرون الوسطى ، وانحصر السبب الثانى فى أنه قد سادت لوقت طويل فى التاريخ الغربى عموما ، وفى تاريخ العلم على وجه الخصوص ، وجهة النظر القائلة بأنه ابتداء من العصور القديمة والعلم



الشكل الرابع عشر صفحة ٥٩

في الشرق في مرحلة جمود · الا ان طائفة من الاعمال الاخيرة التي انجزها علماء البلدان الاشتراكية تتيح تاكيد انه في القرون الوسطى لم يقتصر علماء العالم العربي في الميكانيكا والفلك والطب والجبر على انهم قد حلوا طائفة كاملة من المسائل العملية ، وليس فقط على انهم قد ابدوا اهتماما بالمسائل النظرية الاساسية ، ولكنهم حصلوا ايضا على نتائج تنطوي على اهمية نظرية بالغة وأثرت في بعض الحالات تأثيرا كبيرا على العلم الاوربي في القرون الـ ١٣ ـ ١٨ ·

ولنتناول على سبيل المثـــال القسم الخاص بعلم الميكانيكا فى الكتاب الذى ألفـــه كل من أ· جريجـــوريان و م · روجانسكايا · ان المؤلفين يوضحان فى كتابهما المساهمة الضخمة التى أسهمت بها فى هذا المجال من مجـــالات العلم أعمال البيروني ، وابن سينا ، وابن رشد وغيرهم · لقد صارت أعمالهم بمثـــابة الجسر الذى ربط بين العلم القديم وعلم عصر النهضة ، لتعطى هذا الاخير النبضات الضخمة · وعلاوة على المؤلفات الإبداعية الاصيلة جرى أيضا فى المراكز العلميـة بالعالم العربي فى القرنين الثـــامن — التاسع ترجمة وشرح أعمال أرســـطو وأرشميدس وهيرون وبطليموس والتعليق عليها · فقـــد تولى ترجمة أعمـــال أرشميدس مثـــلا ثابت بن قرة عـــالم الرياضيات والفلك الشهير فى القـــرن التاسع · ومن خلال ترجماته هو بالذات وصلت الينا بعض أعمال أرشميدس التى ضاع أصلها اليونانى · وقد بقيت الترجمة العربية فحسب لكتاب « علم الميكانيكا » لهيرون ، وكتاب « استخدامات الهـــواء المضغوط » ، لفيلون ·

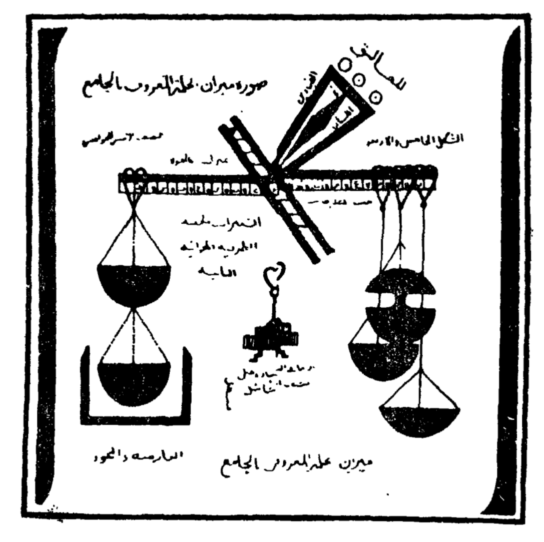
وتثير الاعجاب حقـــا طـــائفة من الاكتشافات والاختراعات التى أنجـــزها علماء الشرق العربى · فها هو ذا اناء غريب الشكل ، جهاز لتحـــديد الوزن النوعى للاشياء ، صنعه البيـــرونى · ويتضمن الكتـــاب جدول مقـــارنة بين الاوزان النوعية للاحجار والمعـــادن · وهذه الاوزان تستخدم فى وقتنا الراهن أيضا · فالارقام التى أوردها عالم القرون الوسطى العلامة هـــذا قريبة أشد القرب وبصورة تثير الدهشـــة من الارقام التى حددها العلم المعاصر · وها هى ذى بعض هذه الارقام :

	عنـــد البيرونى	حسب المعلومات العصرية
الزمرد	٢٫٧٥	٢٫٦٧
الزئبق	١٣٫٥٨	١٣٫٥٥
الرصاص	١١٫٣٣	١١٫٣٤
الحديد	٧٫٨٧	٧٫٨٦

ومعروف أن الوزن النوعى كان ومازال واحـــدا من أهم مصادر المعلومات ابان اجراء الحسابات الفيزيائية ·

ويتضمن الكتاب فصلا مستقلا بعنوان « علم الخيال » مكرسا لعلوم الاجهـــزة والماكينات والحركة الميكانيكية · ويرجع التطور العارم للعلم فى هذا الاتجـــاه الى الحاجات الفعلية التى أملتها هندسة المعمار وتشييد أنظمة الرى وشق وتعبيد الطرق فى ذلك الوقت · وانطوت عـــلى اهمية خاصة ايضا الاعمال المرتبطـــة بالبحث عن مصادر المياه وبنـــاء الابار الارتوازية · وهناك معلومات كثيرة عن الاعمال الطوبوجرافية المعقدة تتضمنهـا مؤلفات مجموعة من العلماء : الادريسى ، والقزوينى ، وابن بطوطة · وقـــد عرض المؤلفان بالتفصيل فى كتابهما احـــدى الرسائل العلمية فى هذا الموضوع ، وهى رسالة الكرجى التى خطها عام ١٠١٧ ·· وفيها بحث مسالة تكون المياه الجوفية ، وأعد الشروط والمتطلبات اللازمة لمـــد أنابيب المياه · ويجتذب اهتماما خاصـا وصف أجهزة مختلفـــة ، صمم المؤلف بنفسه بعضا منها ، مثل الاجهزة الخاصة بتحديد ارتفاع الجبال وعمق الابار ·

واليوم تدهشنا انجازات علم الفلك فى الشرق العربى فى القرون الوسطى بصورة لا تقـــل عن النجاحات التى حققوها فى علوم الميكانيكا · ومن بين هذه الانجازات ·· نموذج لدوران القمـــر ، للطوسى ، ونماذج لحركة الكواكب للشيرازى وابن الشاطر ، ونموذجه أيضـــا لحـــركة الشمس · وقد قام علمـــاء الشرق فى القرون الوسطى بتحسين الادوات والاجهزة الفلكية القديمة وابتكار أجهزة جديدة · ويكاد يكون جميع علماء الفلك الافذاذ فى القـــرنين الـ ٨ — ١٥ ليسوا فقط بمؤلفى رسائل علمية فى علومهم ولكنهم صمموا أيضا أجهزة لمتابعة حركة الكواكب · هذا مع العلم بان بعضا من هـــذه الاجهزة المبتكرة مثل الاسطرلاب الفريد للعـــالم الاندلسى الزرقانى ليس لهـــا مثيل فى الاجهزة الاوربية ، وهى اليوم تحيـــر



العقول بعظمة فكرة مخترعيها ٠

وتكمن عظمة كتاب المؤلفين السوفييتيين ليس فقط فى أن صفحاته المئتين جميعا مفعمة بأكثر الحقائق التاريخية والاكتشافات اثارة ٠ فعلاوة على ذلك يدحض هذا الكتاب بصورة حاسمة تأكيدات طائفة من ممثلى العلم الغربى الزاعمة بعدم قدرة شعوب الشرق العربى ، تاريخيا ، على الابداع العلمى الناجح وعلى فتح افاق جديدة امام العلم٠ ان هذا الكتاب يعد ضربة أخرى لسيكولوجية المستعمرين الجدد ٠

●

فى ذكرى لويجى لونجو

رسالة روما

نقلت الينا البرقيات انباء مؤسفة ـ فقد توفى لويجى لونجو رئيس الحزب الشيوعى الايطالى والشخصية البارزة فى الحركة الشيوعية والعمالية العالمية ٠ وانها لخسارة فادحة للحزب الشيوعى الايطالى ، وللجماهير العاملة الايطالية ، وللشيوعيين فى جميع انحاء العالم ٠

لقد ارتبطت كل حياة لويجى لونجو وسنوات عمره الحافلة بالاعمال ارتباطا لا ينفصم بتاريخ ونضال الحزب الشيوعى الايطالى ٠

ولد لويجى لونجو فى أسرة فلاحية فى مدينة فوبين مونفراتو فى شمال ايطاليا فى ١٥ مارس ١٩٠٠ ٠ وتأثر شبابه بالاحداث الهامة فى بداية هذا القرن ٠ وفى ذلك الوقت اتخذ طريق النضال الثورى ، واقام اتصالات مع البروليتاريا الصناعية فى تورين ، وشارك بدور نشط فى المعارك الطبقية للجماهير العاملة الايطالية ٠

وكان لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى أهمية كبيرة فى تربية لويجى لونجو كثورى صلب ٠ وقد كتب متذكرا هذه السنوات : « لقد الهمنا المثال الظافر لثورة أكتوبر ، وبطولتها ، ومكاسبها الاولى من نوعها والمجيدة » ٠

وفى يناير ١٩٢١ شارك لويجى لونجو فى عمل المؤتمر التأسيسى للحزب الشيوعى الايطالى ٠ وكان مع انطونى جرامش وبالميرو توليياتى واحدا من مؤسسى الحزب الشيوعى الايطالى ٠

وفى السنوات اللاحقة لعب لويجى لونجو على الدوام دورا نشطا فى نشاط الحزب الذى عمل فى ظروف شبه قانونية منذ ١٩٢٢ ٠ وفى عام ١٩٢٦ عندما عمل الحزب الشيوعى الايطالى بالفعل فى سرية تامة ـ انتخب فى اللجنة المركزية للحزب ، وفى عام ١٩٣١ ـ فى قيادة الحزب ٠ كانت الاعتقالات والسجن . والعمل المكثف سرا وفى مركز الحزب

الشيوعى الايطالى بالخارج ، والمشاركة فى نشاط الهيئات العليـــا للشـــبيبة الشيوعية الدولية والكومنترن ـ كـــانت تلك هى مراحـــل تشكيل لويجى لونجو كثورى محترف ومنظم موهوب ٠

وكافح لويجى لونجو ضد الفاشية ليس فقط فى بلده ٠ فعندما شنت الفاشـــية الدولية هجوما دؤوبا على الجمهـــورية الاسبانية ، ذهب الاف المتطوعين لمساعدة الجمهورية ٠ وكـــان لويجى لونجو بين أوائل من ذهبوا ٠ وفى أسبانيا اصـــبح قائدا سياسيا للكتيبة الدولية الثـــانية عشرة وانتخب فيمـــا بعـــد الى منصب مسئول ، هو المفتش العام للكتـــــائب الدولية ٠

وفيما بين ١٩٤٣ ، ١٩٤٥ كان لويجى لونجو أحد منظمى وزعماء حركة المقاومة الجماهيرية فى ايطاليا ٠ وكان قـــائدا عاما لكتائب جاريبالدى للانصـــار التى جندها الحزب الشيوعى ونائبا للقـــائد العام لكل حركة الانصار فى البلاد ٠

وفيما بعد الحرب اسهم مع بالميـــرو تولياتى فى الجهود التى بذلت لجعـــل الحزب الايطالى حزبا جماهيريا حقيقيـا وقوة وطنية هامة تدافع عن مصـــالح الطبقة العاملة وكافة الجماهير العـاملة وتدفع بقضـــية الســلام والديمقراطية والاشتراكية ، وفى عـــام ١٩٤٦ انتخب لويجى لونجو نائبا للسكرتير العـــام للحزب الشيوعى الايطالى ، وفى عـــام ١٩٦٤ ، بعد وفاة بالميـــرو تولياتى ، سكرتيرا عاما للحـــزب ، ومنـذ ١٩٧٢ احتل منصب رئيس الحزب الشـــيوعى الايطالى ٠

واذ خاض لويجى لونجو نضالا دؤوبا من أجـل خلق تحـــالف عريض للقوى الديمقراطية المعادية للاحتكار والمعـــادية للفاشية ، أكد مرارا أن الحزب الشيوعى الايطـــالى « ينبغى أن يكون له وجهـه الخاص » وأن يبدى بثبات موقفا طبقيـا مبدئيا ويرفض أية محاولات لدفعه الى التخلى عن النظرية الثورية والتعـــاليم العظيمة لماركس ولينين ٠

وحتى الايام الاخيرة من حياته ، ظـل لويجى لونجو ثوريا وامميا ثابتا ، لقـد كانت حياة لويجى لونجو مثالا ســاطعا للاخلاص للمثل العليا للشيوعية وتفانيـا لا حد له لقضية الطبقة العاملة وكـــافة الشعب العامل ٠

●●●

الاحتكارات وتسليح جنوب أفريقيا

لوســـاكـا

ليس من المبالغة أن نقول أن استثمارات الاحتكارات متعددة الجنسية تخلق الاساس المادى للنظام العنصرى فى افريقيـــا الجنوبية ٠ ويقول خبراء الامم المتحدة أن الاستثمارات الاجنبية تولد ثلث الزيادة فى اجمالى النـاتج القومى فى جنـوب

افريقيا • ان حوالى الفى شركة أجنبيـــة لها استثمارات فى جنوب افريقيا • ووفقا للاحصـــائيات الرسمية ، فقـــد وصلت الاستثمارات الامريكية المباشرة فى جنوب افريقيا الى ثلاثة أضـــعافها فى الفترة ١٩٦٠ ــ ١٩٧٠ وتضـــاعفت فى خمس سنوات بعد ١٩٧٠ • وزادت الاستثمارات البريطانية فى جنـوب افريقيا ٢٥٠٪ فى السنوات العشر منـــذ ١٩٦٥ • وزادت استثمارات البلدان الغربية الاخرى كذلك •• وتبين دراسة أعدتها لجنـــة الامم المتحدة حول الاحتكارات متعددةالجنسية أن الاستثمارات الاجنبية فى جنـــوب افريقيا تنمو بمعـــدل يزيد على ١١٪ فى السنة •

وقـــد كتبت مجـــلة فورتشن أن المستثمرين الاجانب يعتبرون جنوبافريقيا كمنجم ذهب يجعل من الممكن أن يحققوا أرباحا خيالية ويدفعون أجورا تافهـــة للافريقيين •

وتبدى الاحتكارات متعـــددة الجنسية اليوم اهتماما كبيرا للغايةبناميبيا • وهى اذ تتحدى قرارات الامم المتحدة ، تواصل استغلال مواردها الطبيعية على نطـــاق واسع • وباختصار ، فان ٢٤ احتكـــارا أجنبيا يعملون فى ناميبيا ، موســـعين اســـتخراج اليورانيوم فى منجم روسنج الضخم المفتوح •

واهتمام الغرب ليس قاصرا على المجال الاقتصادى • فالبلدان الامبريالية ترى فى نظام جنوب افريقيا معقلا للنضال ضـــد حركات التحرير وكذلك حصنا كمعـــاداة الشيوعية فى افريقيا • فاعمال جنـــوب افريقيا العدوانية ضد جيرانها ، وتعاونها العسكرى والسياسى مع الانظمة الرجعية فى أمريكا الجنوبية وصلاتها الوثيقة مع بلدان حلف الاطلنطى تفسر اهتمام نظـــام الفصل العنصرى المتـــزايد بمقـــايضة الصفقات العسكرية مع الاحتكاراتمتعددة الجنسية • ويقول خبراء لجنـــة الامم المتحدة المعادية للفصل العنصرى ، وهم على حق فى ذلك ، أن الاحتكارات متعددة الجنسية تلعب الدور الاساسى فى اقـــامة وتشغيل التجمـــع الصناعى العســـكرى لجنوب افريقيا • وتشكل استثماراتهـــا البنيـــة السفلية الصناعية التى تلبى ٧٥٪ من احتياجات بريتـــوريا للاسلحة ومعدات القتال • وتضمن الصلات الدولية لهذه الاحتكارات للعنصريين وصول المواد الضرورية وقطع الغيـــار ، وتمـــول الاحتكارات متعددة الجنسية هـــــذه البرامج •

وقد أصبح النشاط الاقتصادىالعسكرى المجال الرئيسى لنشاط الاحتكارات متعددة الجنسية •

أعتاد العنصريون أن يتلقوا ٩٠٪ من بترولهم من موبيل ، اكسون وكالتكس •• وازداد الوضع سوءا بعد وقف امدادات النفط من ايران بعد الاطاحة بالشاه عام ١٩٧٩ • ومع ذلك ، تتلقى جنوب افريقيا البترول بمساعدة الاحتكارات الغربية • وفى الوقت الحاضر تسرع جنوب افريقيـــا فى بناء مصنع ضخم للوقود الســـائل يرتكز على الفحم ، ساسول ٢ ، سوفيسد فى ١٩٨٢ حوالى ٥٠٪ من احتيـــاجات بريتوريا للوقود الســـائل • وتعمـــل الاحتكارات الغربية بنشاط فى بنـــاء المصنع ، ويلعب احتكار فلور كاليفورنيا دورا هاما فى تنفيذ المشروع •

وتنفذ جنوب افريقيا منذ وقت طـويل برنامجا ذريا ضخما • ويجرى التاكيد على أن الهدف الوحيد للبرنامج هو توليد الكهرباء النووية ، ومع ذلك ، فانه يشكل كذلك الاساس المـــادى لصنع الاسلحة النووية ، وبذلك ، فانه يشكل تهـــديدا خطيرا للسلام والامن فى افريقيـــا وفى

أماكن أخرى ٠ والتقارير التى تشير الى امكان اجراء تجارب على القنبلة الذرية فى جنـوب الاطلنطى ليست بلا أسـاس تماما ٠

وليس هنـــاك تقريبـــا من سلاح لم يتسلمه العنصريون من الاحتكارات الغربية أو لم ينتجوه فى فروع الاحتكارات متعددة الجنسية بتصريح من الغرب وذلك بتجاهل قرار مجلس الامن والجمعية العـــامة للامم المتحدة ٠

ويعمل الغرب كل ما فى وسعه لمساعدة جنوب افريقيا على تطوير جهازه البوليسى العسكرى العقـــابى ٠ وفى نفس الوقت تؤكد الدبلوماسية الغربية أنه من الممكن تنظيم « حـــوار » بين القـــاهرين والمقهورين ، يؤدى كمـــا يزعمون ، الى الالغـــاء التدريجى لنظـــام الفصل العنصرى ٠ ولسنوات عديدة والغـــرب يمجد « القوانين الاختيارية » المعـــادية للعنصرية المزعومة ، والاثنان منهما لهمـــا مكانة حكومية (أحدهما اقرته الســـوق الاوربية المشتركة والثانى الحـــكومة الكندية) ، وكذلك مبدأين وضعهمـــا رأس المال الخـــاص (أحدهمـــا وضعه جنرال موتورز والاخر اتحاد الموظفين فى جنوب افريقيـــا) ٠ وهـــذه القوانين والمبادىء تتعلق فقط بظروف العمـــالة ، التى تتوقف على « الرغبـــة الطيبة » للاحتكارات متعددة الجنسية ٠ وكحقيقة، توفر هذه القوانين بعض الحسنات التى ترمى الى رشـــوة قسم من الســـكان

والاحتفاظ باسس نظام الاستغلال ٠ وتبين دراسات الامم المتحـــدة أن الاحتكارات متعددة الجنسية تتجـاهل المطـالبة بأن يعيـدوا الى جنوب افريقيا الاستثمارات التى اتت فيها ويكفوا عن استغلال الموارد الطبيعية لناميبيا التى يحتلها العنصريون بشكل غير مشروع ٠

وتنمو فى جميع انحاء العالم الحـركة المطالبة بالالغـــاء الكامل والنهـــائى للعنصرية والفصل العنصرى ، وبوقف كل تعاون مع نظام بريتوريا ٠ وقد اتخـــذت الدورة السادسة للجنة الامم المتحـــدة حول الاحتكارات متعـددة الجنسية قرار يحث كافة البلدان على وقف مساندة نظام الفصـل العنصرى بأى طريق والكف عن امداده بالوقود والقروض ، الخ ٠ وهذه الاجراءات وغيرها يمكن أن تضع حـــدا للمساندة المالية التى مايزال يتلقـــاها النظام العنصرى ٠ ومما له أهمية خاصة ، أن الولايات المتحدة وبريطـــانيا وفرنسا وسويسرا والمانيا الغربية قد صوتت ضد القرار وأوضحت بذلك مرة اخرى أنهـــا تؤيد العنصريين بصراحـــة ٠ ولم يدين الوفد الصينى فى الـــدورة الاحتكارات متعددة الجنسية ومن يساندونها سياسيا ٠

ان نظام الفصل العنصرى الكـــاره للانسان فى جنوب افريقيا يرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الامبريالى الذى يســـتغل الموارد الطبيعية والبشرية لافريقيا والذى يريد أن يحتفظ بالقارة تحت سيطرته ٠

●●●

محاولات لأحياء الحلف العسكري

هانوي

بدأت الدول الامبريالية جولة خطيرة من الاستعدادات العسكرية في جنوب شرقي اسيا • وهي تحاول أن تبعث الحياة في الاحلاف العسكرية القديمة وتقيم احلافا جديدة على اساسها •

بعد أن فقدت بريطانيا مستعمراتها فيما وراء البحار واجهت أزمة مالية ، وفي أوائل السبعينات ، قامت بحركة لا معنى لها • لقد سحبت قواتها الدائمة من المناطق الواقعة شرقي السويس • وتركت بريطانيا نوعا من الاثر العسكري مع ذلك • فتحت اشراف الحلف العسكري الذي كان يضم أستراليا ونيوزيلندا وبريطانيا ، أقيم « تحالف دفاعي » يضم بريطانيا وأستراليا ونيوزيلندا ، وسنغافورة وماليزيا • وكانت هذه الخطوة الاستعمارية الجديدة ترمي الى الاحتفاظ بمواقع الدول الامبريالية في جنوب شرقي أسيا وأدت الى مفاقمة الوضع في المنطقة • واحتجت القوى المحبة للسلام بحزم ضد هذا العمل • ولهذا السبب لم يسرع « التحالف الدفاعي » الى تصعيد نشاطه لبعض الوقت •

وفي الفترة الاخيرة اشارت الصحافة الى أن أستراليا قد اخذت على عاتقها اعادة هذا الحلف الى الحياة • وجرت المشاورات حول هذا الموضوع بين بريطانيا واستراليا ونيوزيلندا • واعدت الخطط لاجراء مناورات عسكرية مشتركة بين هذه البلدان الخمس • ومن المقترح ادخال كل بلدان « أسيان » في هذا الحلف • وفي هذا الخصوص ، تعلق الامال بشكل خاص على تايلاند وسنغافورة التي لديها اتفاق حول التعاون العسكري مع أندونيسيا • ومن الملفت للنظر في هذا الخصوص الزيارة الاخيرة التي قام بها لاندونيسيا الادميرال يوتاي قائد أسطول تايلاند ووصول قائد الاسطول السابع الامريكي فيس ادميرال تروست ونائب وزير الدفاع الامريكي كومر الى جاكارتا •

والمحاولات الجديدة لجعل بلدان جنوب شرقي اسيا تعتمد على البنتاجون وعلى بعضها البعض في المجال العسكري هي جزء من عمليات واشنطن في هذه الايام لتعزيز مؤخرتها فيما تعد له من اعمال واسعة في الشرق الاوسط وجنوب غرب اسيا •

ومما له اهمية خاصة في هذا المضمار المبادرات التي تقدم بها الاتحاد السوفييتي لتحسين المناخ السياسي الدولي في الدورة الاخيرة للجمعية العامة للامم المتحدة • فقد اقترح على وجه الخصوص أن تمتنع كافة الدول عن اى عمل يؤدي الى اقامة احلاف عسكرية جديدة أويعطي وظائف عسكرية للمنظمات الاقليمية غير العسكرية • وهذه المبادرة موجهة للذين يحاولون عن عمد مفاقمة الوضع في جنوب شرقي اسيا ، والذين لا يدركون تماما اخطار المؤامرات التي ينحرفون اليها •

هستيريا الحرب.. على نهر التايمز

في الثاني من ابريل هذا العام نشرت الحكومة البريطانية كتابا أبيضا بعنوان « الدفاع في الثمانينات » . والعنوان الاكثر مناسبة كان من الواجب أن يكون « التخطيط للحرب النووية في الثمانينات » لقد صدم وأغضب الرأى العام وحتى الكثيرين من أنصار الحكومة . ولا غرابة في أن يحمل التعليق في الفاينانشيال تايمز العنوان البليغ « الموسيقى لمخططى الدفاع » .

فماذا تقدم الحكومه للشعب البريطاني في هذا الكتاب الابيض ؟ انها تقترح انفاق ١٠ر٧٨٠ مليون جنيه على الاسلحة في العام المالى ١٩٨٠/١٩٨١ (واذا ما اعتبرنا أن معدل التضخم يتواصل باعلى من ٢٠٪ في العام فان المبلغ الحقيقي يحتمل ان يصل الى ١٣ر٠٠٠ مليون جنيه) ولادرك ما يعنيه هذا المبلغ حقا ، ينبغى على المرء ان يعرف انه يصل في الوقت الحاضر الى ٤ر٩٪ من اجمالي الناتج المحلى ، وهى نسبة اعلى تنفق على التسلح منها في اى بلد آخر في غرب أوربا عضو في حلف الاطلنطى . وهذا هو حجم العبء الذى ينوى المحافظون تحميله لبريطانيا ، التي تعتبر اضعف بلد من الناحيه الاقتصادية في السوق المشتركة . وفي الوقت الذى تبنى فيه الحكومة القوة العسكرية ، قامت بخفض كبير للانفاق على الخدمات الاجتماعيةوالاستثمار فيالقطاع العام . ويزيد الانفاق المخطط علىالاسلحة عن كل عجز ميزانيه الدولة ، الذى يقدم كسبب للهجوم الواسع على مستويات معيشة شعبنا .

ويكشف الكتاب الابيض عن أن الرؤوس الحربية النووية بولاريس يتم تحديثها سرا ، رغم حقيقة أن رئيس الوزراء العمالى السابق كالاهان كان قد تعهد باستبعاد بولاريس . وسوف يكلف هذا التحديث على الاقل ١٠٠٠ مليون جنيه . ولكن الحكومة ـ كما يقول الكتاب الابيض ـ تفكر جديا في انفاق ٥٠٠٠ مليون جنيه اضافية على استبدال غواصات بولاريس بغواصات الصواريخ النووية الامريكية ترايدنت . ويعتبر هذا نظاما للاسلحة اكثر تكلفة واهلاكا ، ويمكنه فقط ان يعرض بريطانيا للخطر ولا يحميها ، اذ انه سيجعل منها ، اذا ما قامت الحرب ، هدفا اكبر احتمالا . واذا ما اخذنا في اعتبارنا التزام الكتاب

الابيض يوضع ١٦٠ صاروخ كروز الامريكي على ارض بريطانيا تحت اشراف أمريكي ، فان الخطر على الشعب البريطاني سيتزايد في حالة اندلاع نزاع عسكري .

ويقول الكتاب الابيض أن « البحث والدراسة » تولي لتجنيد النساء في الخدمة العسكرية ولمشاركتهن في القتال الفعلي ، ولتطوير الرؤوس الحربية الكيماوية والبيولوجية ، ولاعداد قدرة قوات مسلحة للعمل العسكري خارج منطقة حلف الاطلنطي . ولاول مرة منذ أيام مجد الامبريالية البريطانية ، يتحدث الكتاب الابيض عن الحاجة الى الاعداد لاستخدام القوات المسلحة « لحماية المصالح البريطانية » في أي مكان في العالم . وهذا تقليد أعمى عديم الجدوى لقرار كارتر الاخير بتشكيل قوة متحركة للعمل السريع .

ومقترحات الكتاب الابيض ، الخطيرة في حد ذاتها . على السلام العالمي والمدمرة لافاق مستويات معيشة الشعب البريطاني تستند الى الاسطورة المبتذله عن « التهديد من الشرق » . وكل النغمة التي تسود التدليل هي أن الاتحاد السوفييتي يعتبر تهديدا متزايدا وعدوا اساسيا . ويقدم « الدليل » بالتلاعب بالاحصائيات لتشويه قدرات التسلح النسبية ، ويتجاهل المبادرات السوفييتية العديدة للمفاوضات السلمية ، بما في ذلك انسحاب القوات السوفييتية من جانب واحد من جمهورية المانيا الديمقراطية ودعوة بريجنيف لبلدان حلف الاطلنطي لاتباع هذا المثال والتفاوض حول خفض متبادل للاسلحة النووية في أوربا .

وتتخلل كل هذه الوثيقه الداعية للحرب معاداة السوفييت الشريرة . بيد أن النفاق المقزز يتمثل في احداث الاستيلاء على افغانستان لتبرير الاسراع بسباق التسلح بشكل استفزازي في بريطانيا . ومعظم المقترحات التي احتواها الكتاب الابيض تضمنتها الخطب الانتخابية للسيدة تاتشر وفرانسيس بيم (وزير الدفاع في حكومتها) . لقد أعلنت زيادة ٣٫٥٪ في القيم الحقيقية للانفاق على التسلح في اول ميزانية للمحافظين بمجرد أن وصل المحافظون الى السلطة . وقبل احداث افغانستان تقرر توزيع صواريخ كروز الامريكية في بريطانيا .

والتوصيات التي تضمنها الكتاب الابيض كان لابد وان يوافق عليها البرلمان . ولهذا الغرض تستخدم الحكومة وسائل الاعلام لحملة وحشية لزيادة هستيريا الحرب في بريطانيا . وهي تريد من الشعب البريطاني أن يعتقد بأن بريطانيا على عتبة حرب . بيد أن الشعب البريطاني ليس أعمى بالدرجة التي يعتقدها المحافظون المتعجرفون . لقد ولد الكتاب الابيض قلقا بين الناس العاديين وأثار احتجاجات قوية من الرأي العام التقدمي . فهل تضع ويستمنستر هذا الرأي في الاعتبار ؟

ان ملهمي هستيريا الحرب يخبرون الشعب أنه في حرب نووية لن تدمر كل بريطانيا العظمى ، وانه اذا ما اتبع السكان التعليمات الواردة في كتيب الحكومة فسوف يعاني ١٥ مليون شخص فقط (وفي أسوأ الاحوال ٣٠ مليون) بينما سيبقى الاخرون. ولكن أين ؟ على أرض ملوثة بالاشعاع كانت تسمى انجلترا ذات يوم ؟

لقد كشف الكتاب الابيض عن أسوأ التنبؤات للبلاد فيما يتعلق باقامه حكومة محافظه جديدة . ورغم ان الكتاب الابيض يبدو متناقضا ، فان له مغزى ايجابي كذلك . فمع الاعلان الرسمي « للاسلحة قبل الزبد » اقنعت حكومة المحافظين ملايين الناس بأن هذه الحكومة وسياستها هما التهديد الحقيقي لبريطانيا نفسها وللعالم. لقد أوضح الكتاب الابيض أن السبب الحقيقي للخفض الكبير في مستويات المعيشة هو تحويل الاموال من السلع والخدمات الجوهرية والمفيدة اجتماعيا الى حفرة الانفاق العسكري التي لا قرار لها . وقد لفتت نظر الشعب الى الحاجة الى تعبئة الجماهير في النضال من أجل الحاجات الاقتصادية ، والى ربطها بالنضال من أجل قلب سياسة تاتشر الحربيه . ان حركة أنصار السلام تنتعش بسرعة في بريطانيا . والحملة التي تحتج على سباق التسلح تساندها حركة نزع السلاح النووي وغيرها من المنظمات الجماهيرية. ولسوف يسود التفكير السليم على هستيريا الحرب .

دائرة المعارف

• كارل كاوتسكى (١٨٥٤-١٨٥٨) :

مؤرخ واقتصــــادى المانى ٠ ومنظر اشــتراكى ديموقراطى للاممية الثانية ، وانتهازى ٠ ولــد فى براغ ، وبعد ١٨٨٠ عاش فى المانيا ٠ فى ١٨٨١ قابل ماركس وانجلز ٠ اسهم بنشاط فى الصحافة الاشتراكية الديموقراطية بعــد السبعينات ٠ وفى التسعينات أصــبح المنظــر المعترف به للاشتراكية الديموقراطية الالمانية ٠ وقد كتب كاوتسكى عددا من المؤلفـــات التى لعبت دورا كبيرا فى نشر الافكار الماركسية ٠ ولكن كاوتسكى ارتكب اخطاء خطيرة فى هذه المؤلفات وشوه الماركسية وهو ما انتقده عليــه انجلز ٠ ووصف لينين كتيب كاوتسكى الذى نشر عام ١٩٠٩ بانه أفضل كتبه ، اذ درس فى هذا الكتاب قضايا الثورة السياسية ولكنه لم يقل « كلمة واحدة عن الاستخدام الثورى لاى ولكل وضع ثورى » ٠ وعند الحــديث عن الثــورة البروليتارية يتجنب كاوتسكى مسالة تحطيم جهاز الدولة البرجــوازى واحلاله بأجهزة السلطة البروليتارية ٠ وفى عـــام ١٩١٠ شكل كاوتسكى « مجموعة مركزية » فى الحزب الاشـــتراكى الديموقراطى الالمانى وبعد ذلك وقف بصراحة ضد الماركسية الثورية ٠ وقد اطلق لينين على مؤلف كاوتسكى الـــذى اصدره عام ١٩١٨ « دكتاتورية البروليتاريا » نموذجا للتشويه السوقى للماركسية وخيانة صريحة لها عمليـــا ، فى الوقت الذى يعترف بها بالكلام بشكل منـافق ٠ ولم يفهم

كاوتسكى مهـام دكتاتورية البروليتاريا • وفى ارائه الفلسفية كان كاوتسكى انتقائيا يربط عناصر المادية بالمثالية • وقد شوه كاوتسكى تماما نظـــرية المادية الجدلية والتاريخية فى كتاباته الاخيرة • وهكذا ، فقد بـدأ بانحرافات عن بعض الفرضـيات الهامة للماركسية وتجاهل تطبيقها الخلاق ولكنه انتهى الى الانتهازية والارتداد •

●●●

● روبرت أوين (١٧٧١ــ١٨٥٨) :

اشتراكى طوباوى ، ونصـــير للفـكر الاشتراكى الانجليزى • ولد فى عائلة من الحـــرفيين وبـــدأ يكسب قوته من سـن العاشرة • ومن عام ١٧٩١ حتى عـــام ١٨٢٨ شـــــارك فى المؤسسة الراسمالية « وأدار مصانع ضخمة • وكان يعـــرف الجوانب السلبية للنظام الراسمالى افضل من الاشتراكيين الطوباويين الاخـــرين وانتقـــدها بشدة فى ظـــروف الثورة الصناعية • وشارك اوين فى النشــــاط الخيرى وكان ابا لتشريعـــات المصانع • وفيما بعد، وجه نقـده ضد الملكية الخاصة والدين الذى يقدسهما ، والزواج البرجوازى •• ولقد كان عقليا وملحدا مــع بعض الانحرافات نحو الايمان بالله بعيدا عـن الديانات المنزلة • واعتقد اوين ان النظام الاجتماعى يمارس تاثيرا حاسما عـــلى الانسان ، وفسر التاريخ بطريقة مثـــالية على انه تقدم تدريجى للمعرفة الذاتيـــة البشرية ، ورأى جذور الشرور الاجتماعية فى جهل الناس • وأولى اوين اهتمـــاما خاصا للتعليم باعتباره احد الاجـراءات التى تعد « عـــالما معنويا جديدا » (اى اشتراكيا) • وادخل كثيرا مـن الافكار القيمة فى نظرية علوم التربية وتطبيقاتها •• وحوالى ١٨٢٠ كانت افكاره الاساسية قد تبلورت فى نظام بدأ اوين يســــميه الاشتراكية ، وكانت أسس هذا النظام هى الملكية العامة والعمل ، وربط العمل البدنى بالعمل الذهنى ، والتطور الشامل للفرد ، والمساواة فى الحقوق • وجمعت تعاليمـه الاشتراكية العمل الصـناعى والزراعى • واعطى الاولوية • وقد تصور المجتمـــع اللاطبقى المقبل كاتحاد حر للمجتمعـــات التى تحكم نفسها ذاتيا ، التى يضمكل منها من ٣٠٠ الى ٢٠٠٠ شخص • ووضع أوين التاكيد الاساسى على التوزيع • وبسبب فشله فى فهم الحاجة الى ثورة اجتماعية ، اعتمد على الحكومات البرجوازية لتحويل المجتمـــع • وقد نظم كوميونات العمـــل (« التناسق الجديد » فى الولايات المتحدة من ١٨٢٥ الى ١٨٢٩ ، « وقاعة التناسق » فى بريطــــانيا من ١٨٣٩ حتى ١٨٤٥) وكذلك اسواق التبادل ، وقد فشلت جميعها •• وكان اوين الطوباوى العظيم الوحيـد الذى ربط نشاطه بمصائر الطبقة العاملة• وفى أوائل الثلاثينات شارك بنشـاط فى الحركة النقـــابية البريطانية والحـــركة التعاونية ، وساعدت افكاره فى ذلك الوقت النقابية لدرجة معينة • وكان أوين عـــلى الدوام نصيرا للطبقة العاملة ، رغم انـــه لم يفهم دورها التاريخى •

●●●

● لودفيج فيورباخ (١٨٠٤ــ١٨٧٢) •

فيلسوف مادى المانى ملحد ، كان يدرس فى جامعة ايرلانجن ، وأدت افكـاره الى طـرده من الجـــامعة • وقضى فيورباخ السنوات الاخيرة من حياته فى احـــدى القرى • ولم يكن يفهم طبيعة ثورة ١٨٤٨ ولم يقبل الماركسية ، رغم انه انضم الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى قرب نهاية حياته • وفى صراعه ضـد الدين نشات افكار فيورباخ من افكار الهيجليين الشباب الى المادية • وقد اثر اعـــلانه للمادية

ودفاعه عنها على معاصريه • وكتب انجلز عن اثر كتاباته قائلا : « كان الحماس عاما وأصبحنا كلنا من انصار فيورباخ على الفور » • وكانت النزعة الانسانية سمة مميزة لمادية فيورباخ ، التى كانت نتيجة للظروف التاريخية فى المانيا ما قبل الثورة وعبرت عن المثل العليا للديمقراطية البرجوازية الثورية • وكان نقد المفهوم المثالى الهيجلى لجوهر الانسان واختزاله الى الوعى الذاتى النقطة الاولية لتطور فيورباخ الفلسفى • وأدى التخلى عن هذا الرأى بالضرورة الى التخلى عن المثالية بشكل عام • وكانت احدى خدمات فيورباخ أنه أكد الصلة بين المثالية والدين • وانتقد بشدة الطبيعة المثالية للجدل الهيجلى • وفتح ذلك الطريق الى الاستفادة من المحتوى العقلى للفلسفة الهيجلية وسهل بذلك من تشكيل الماركسية • ولكن فيورباخ نفسه أزاح جانبا ببساطة فلسفة هيجل ولهذا فشل أن يلاحظ انجازها الرئيسى ، الجدل • وكان المحتوى الرئيسى لفلسفة فيورباخ هو اعلان المادية والدفاع عنها • وبدت النزعة الانسانية هنا فى مشكلة جوهر الانسان ومكانه فى العالم وقد طرحت الى المقدمة • لكن فيورباخ لم يتبع خطا ماديا ثابتا حول هذه المسألة لانه أخذ الانسان كفرد مجرد ، ككائن بيولوجى بحت • وفى نظرية المعرفة طبق فيورباخ بثبات وجهة النظر التجريبية والحسية ، وعارض بحزم اللاادرية • وفى نفس الوقت لم ينكر أهمية الفكر فى المعرفة ، وحاول أن يدرس الموضوع فى ارتباطه بنشاط الذات وقدم افتراضات حول الطبيعة الاجتماعية للمعرفة والوعى البشرى الخ• ولكنه بشكل عام لم يتغلب على الطبيعة التأملية لمادية ما قبل ماركس • وفى فهمه للتاريخ بقى فيورباخ فى مواقع مثالية تماما • وترتبت الاراء المثالية عن الظواهر الاجتماعية على رغبته فى تطبيق النزعة الانسانية كعلم شامل على دراسة الحياة الاجتماعية • وكانت مثالية فيورباخ واضحة بشكل خاص فى دراسة الدين والاخلاق • لقد اعتبر الدين اغترابا وتجسيدا لسمات انسانية ، ينسب اليها جوهر ما وراء الطبيعة • والانسان يزدوج ويتأمل جوهره فى الله • ويرى فيورباخ السبب فى هذا الازدواج فى شعور الانسان بالاعتماد على قوى تلقائية للطبيعة والمجتمع • ومما له أهمية خاصة حدث فيورباخ عن الجذور الاجتماعية والتاريخية للدين • ولكن نظرا لنزعته الانسانية فانه لم يتخطى حدسه حول هذه المسألة وكان عاجزا عن أن يجد وسائل فعالة للدفاع عن أفكاره • وبحث عنها فى احلال الوعى ، والوعى الذاتى محل انعدام الوعى ، الى ، فى التعاليم كلية ، ودافع حتى عن الحاجة لدين جديد • ولانه لم يفهم العالم الحقيقى الذى يعيش فيه الانسان فقد استنتج مبادىء الاخلاق من سعى الانسان الداخلى للسعادة • وتحقيقها ممكن ، بشرط أن يحد كل انسان عقليا من احتياجاته ويحب غيره من البشر • والاخلاق التى بناها فيورباخ مجردة ، وخالدة ، وثابتة بالنسبة لكافة الازمنة والشعوب • وبغض النظر عن حدود أرائه كان فيورباخ سلفا مباشرا للماركسية • ويقدم بعض المثاليين فى الوقت الحاضر نفس أفكار فيورباخ ذات النزعة الانسانية بتفسير مثالى صريح •

● اشترك فى هــذا العــــدد ٠



● فيليب رورد ريجيز :

عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البوليفى ٠

● د٠ محمد عمارة :

أحــــد الكتاب والمؤرخين البارزين للتراث الاسلامى ٠

● كين جيل :

عضو المجلس العــام لمؤتمر اتحـــاد النقابات فى بريطانيا ٠

SOCIALIST STUDIES

DECEMBER 1980

MAIN SUBJECTS

- Anti Sovietism.Core of Anti-Communism.
- Technological Progress and the Crisis of Capitalism.
- Fascism. Reaction's Last hope.
- Creating a Soscialist Entity of Men. Equality Under Socialism.

●●●



مجلة شهرية

تصدر عن دار الهلال

بالتعاون مع مجلة

السلم والاشتراكية

رئيسة مجلس الإدارة :

أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة :

صبري أبو المجد

رئيس التحرير :

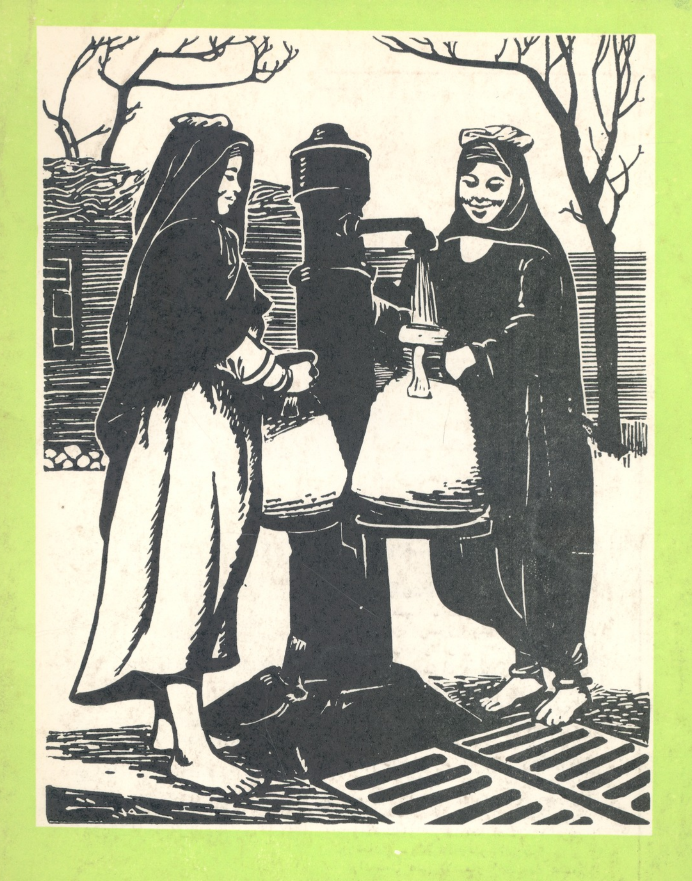
إبراهيم عبد الحليم

ثمن العدد : جمهورية مصر العربيه ١٠٠ مليما – عن الكميات المرسلة بالطائرة فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا . فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا .

قيمة الاشتراك السنوى : ١٢ عددا فى جمهورية مصر العربية وبلاد اتحاد بريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ فى سائر أنحاء العالم ٥ ونصف دولار أو ٢ جك والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال . فى جمهورية مصر العربيه والسودان بحوالة بريدية فى الخارج بتحويل أو شيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى – وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب : القاهرة .

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



« الحنفيه »   للفنان : هبه عنايت

١٠ قروش